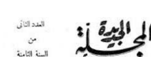
صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد الثانى



المجلة الجديدة

العدد الثانى
من
السنة الثامنة

حارة جاد – شارع الفجالة – مصر

فبراير ١٩٣٩



افتتاحيـــــــات

بعد انتصار فرانكو

سقطت برشلونة واستولى عليها فرانكو فيكون بذلك قد استولى على مايبلغ ثلاثة أرباع اسبانيا أو يزيد . لأن مدريد لاتزال فى قبضة الحكومة وجميع الاقاليم التى تقع فى شرقها الى البحر . وهذه الاقاليم ان لم تبلغ ربع اسبانيا فهى لاتقل عن الخمس . وكما ان لسقوط برشلونة قيمة كبيرة فى التهويل والدعاية فان لبقاء مدريد قيمة أخرى فى مثل ذلك عند الموالين للحكومة . ولذلك قد تبقى مدريد والاقاليم الشرقية مدة طويلة وقد تستعصى على فرانكو بضعة أشهر . ولكن سقوط برشلونة يدل على كل حال على الاقتراب من النهاية وعلى أن الثـــائرين قد أصبحوا فى مركز المتسلط المستقر الذى يمكنه أن يصف رجال الحكومة الجمهورية بأنهم هم الثائرون المضطربون

ويجب لذلك أن نوطن أنفسنا على أن اسبانيا ستكون بعد أسابيع أو أشهر قد خضعت جميعها لفرانكو . وعلى أن حكومة بعيدة عن الانظمة الديمقراطية المألوفة ستنشأ فى هذا القطر . وليس من الضرورى أن تكون هذه الحكومة فاشية أو نازية مقتبسة من روما أو برلين . ولكن مما لا شك فيه أنها سوف تشترك معهما فى مكافحة الحريات التى تعودنا أن نراها فى جميع الامم الديموقراطية . كما

أن البرلمان سوف يستغنى عنه لـكى يقوم مقامه شكل جديد من أشـكال الديكتاتورية . وعلى كل حال سوف يهنأ الاسبـانيون بالاستقرار ولو فى ظل الحـكم الديكتاتورى بعد اكثر من سنتين وهم يقاسون هـذه الحرب الاهلية التى دمرت مدنهم وعمت بينهم القحط واليتم والشقـاء . واذا كانت الديكتاتورية سيئة فأسوأ منها حرب لاتجدى

والنتيجة المحتومة لانتصار فرانكو أن اسبانيا ستظهر فى البحر المتوسط قريبـا فى صف دولتى المحور بعد أن كانت قبل سنتين فى صف الامم الديمقراطية . فهناك توازن جديد لا بد من مواجهته فى هذا البحر أهم ما فيه أن ايطاليا ستزداد به قوة

كما أن فرنسا ستجد مركزها فى شمال افريقيا كله مزعزعا . وليس من المعقول أن يسمح الاسبان لايطاليا أو لالمانيا باحتلال قسم من وطنهم ولـكن الامتيازات التجارية والصناعية التى حصل عليها الالمان الى الآن جزاء مساعدتهم لفرانكو سواء فى شمال اسبانيا أم فى شمال أفريقيـا سوف تطلب ايطاليا مثلها بل اكثر منها . بل ليس يبعد أن يتفق فرانكو على منح قواعد حربية لايطاليا بمعاهدة جديدة تكون الغاية منها مناوأة فرنسا بغية استخلاص ما يمكن من مستعمراتها فى أفريقيا الشمالية

وقد أصبحت العلاقات الاوربية فى فوضى تعم التهكن . فقد يقع أى شىء غير منتظر وقد لايقع المرجح الذى يدل تطور الحوادث على قرب وقوعه . فان عصبة الامم قد علاها الصدأ ولم تعد تثير فى النفس غير الاسف . وأصبح بعض الدول يحس كأنه له — بعد موت عصبة الامم — رخصة فى أن يكون بلا أخلاق . وعلى هـذا يمكن أن تقع الحرب فى أى وقت اذا سنحت الفرصة لاحدى هذه الدول

ولكن هناك مع ذلك ما يبعث على الطمأنينة . فان كلا من ألمانيا وايطاليا تخشيان ظاهرة عجيبة بدت فى السياسة الانجليزية. ذلك أنه عقب اتفاق مونيخ وعقب الاتفاق بين بريطانيا وألمانيا بشأن توثيق علاقات الصداقة — عقب ذلك حدث عكس ما كان ينتظر من بريطانيا لانه بدلا من أن تطمئن الحكومة الانجليزية الى هذين الاتفاقين اذا بها تقلق أشد القلق بشكل يدعو تشمبرلين الى سرعة التجنيد والتسليح حتى كدنا لايمر علينا يوم الا ونقرأ عن أخبـار التقدم الحربى الذى تنفق عليه بريطانيا أعظم المجهودات وأوفر الأموال

فكيف يتفق هذا ؟ كيف يتفق أنه بعد «انقاذ السلام» فى مونيخ وبعد اتفاق ودى مع المانيا وبعد زيارة تشمبرلين لروما — بعد كل هذا يزداد التسلح ؟

أليس المغزى واضحاً وهو أن الحكومة البريطانية لم تعد تثق باستقرار أوربا ولا تثق بالمعاهدات والاتفاقات التى تعقدها ؟

نقول أن أعظم ما يبعث على الطمأنينة هو هذا الاستعداد الحربى فى بريطانيا وهو استعداد سيجعل كلا من ايطاليا والمانيا تفكران كثيرا جدا قبل الاقدام على الحرب

ولكن يبقى مع ذلك عامل سيكلوجى آخر . وهو أن هذا الاستعداد البريطانى سيبعث على زيادة التسلح فى دولتى المحور بل لعله يبعث روسيا على الاجتراء والاطمئنان الى حرب أوربية . وعندئذ تكون الشرارة التى لايعرف مكانها . وتكون الحرب العامة

ان سقوط برشلونه هو صفحة جديدة فى مأساة السياسة الاوربية وقد ينالنا كثير من فواجعها

اللعنة الشيوعية على أوربا

سوف يذكر صلح برست ليتوفسك الذى عقد سنة ١٩١٧ بين المانيا الظافرة وروسيا المهزومة أو المهدمة ، بأنه كان افتتاحا لعهد جديد هو عهد اللعنة الشيوعية التى سادت روسيا ونفشت فى أوربا فكانت سببا لرجعى من ناحية المحافظين والحربيين عطل به الرقى العام فى انحاء أوربا بل فى انحاء العالم

ويمكن أن نقول بوجه عام أنه منذ سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٩١٤ كان يسود الفكر السياسى فى أوربا دعوة الحريين الى الاصلاح الذى يعد مزيجا من البر بالفقراء الى التوسع الدائب فى الحرية ، وحقوق الافراد مع الميل الذى كان يزداد عاما بعد آخر نحو الاشتراكية المعتدلة اشتراكية الاصلاح التدريجى ، وذلك بتكليف الحكومات واجبات جديدة ، وضمانات لاعهد للامم السابقة بها تكفل بها حياة الفرد حتى لايقع فى الفاقة أو المرض أو العطل وحتى يزيد مستواه الثقافى عاما بعد الآخر

ولم تكن أمة فى أوربا تخلو عند نشوب الحرب الكبرى من احزاب برلمانية قوية او سائرة نحو القوة — تدعو الى الاشتراكية وتستعد للاضطلاع باعباء الحكم . وكان المحافظون والحريون

لا يخشون هذه الاحزاب بل احيانا يستنيرون بخططها فى تعيين الاصلاحات

وقبل اسابيع توفى واحد من هؤلاء الاشتراكيين هو المسيو فاندرفيلدت البلجيكى الذى تزعم الدولية الثانية . وهى الدولية « البرلمان الاشتراكى العالمى » التى تقول بالاصلاح التدريجى الذى ينأى عن فكرة الثورة

ولكن روسيا فاجأت العالم سنة ١٩١٧ بالاشتراكية الثورية واسست الدولية الثالثة فى موسكو لكى تكون « المشتل » الذى ينقل منه الى انحاء العالم نبات الثورة الاشتراكية . ولم يكن سادة روسيا الجدد على شيء قليل او كثير من الحنكة السياسية فى معالجة السياسة الدولية ولذلك خبطوا فدعوا إلى الثورة فى جميع الامم ورشوا الزعماء وامعنوا فى مكافحة الدين واقاموا ديكتاتورية ان لم تزد فى استبدادها على حكم القياصرة فهى لا تقل عنها

وقد تلقى العمال فى اوربا وامريكا فوز لينين فى روسيا بالاستبشار وظنوا ان عهدا جديدا قد افتتح لتحقيق الاشتراكية والسير بها نحو الشيوعية . وان هنالك فى اقصى الشرق فى اوربا تجربة اجتماعية جديدة لم يسبق للبشر ان حققوها فيجب ان تتوافر النيات الحسنة على تمكين الروس من تحقيقها

ولكن لم تمض اعوام حتى اتضح لجميع المثقفين ان روسيا انما هى عبء على الاصلاح والاشتراكية وليست عونا لها . فان الغلو الذى انساق اليه زعماؤها فى الدس الحزبى فى الاقطار الاجنبية ومكافحتهم للدين واضطهادهم لخصومهم كل هذا وغيره جعل المحافظين يرعبون ويرون فى كل حركة اصلاحية بادرة من بوادر الثورة التى سوف تنتزع منهم مقامهم الاجتماعى والاقتصادى

ووقف موسولينى فى ايطاليا حوالى سنة ١٩٢٢ يستروح روح الشيوعية فى احتلال العمال للمصانع فانتهز الفرصة وتزعم ايطاليا لمكافحة الشيوعية باسم الفاشية

وقد رأينا كيف تنتصر الافكار الفاشية أو ما يشابهها فى ايطاليا ثم المانيا ثم النمسا وهنغاريا وبولندا ويوغوسلافيا واليونان . وها هى على وشك الانتصار التام فى اسبانيا . ومهما قلنا فى قيمة هذه الافكار الفاشية فما لا شك فيه انها الرجع للشيوعية الروسية . وانه لولا هذه الدعاية الشيوعية لما كان هناك معنى للفاشية أو الاشتراكية الوطنية بل المرجح ان أوربا كانت تعيش الآن على المبادىء

السياسية التي عاشت عليها قبل الحرب الكبرى فيكون هناك المحافظون والحريون والاشتراكيون أو العمال وعندئذ كانت تسير الاصلاحات في تدرج لا يذعر منه احد. بل كانت الاشتراكية المعتدلة يتحقق القسم الاكبر من برامجها . ويمكن ان يقال ان الاشتراكية لهذا السبب خسرت في اوربا بقيام الثورة الروسية ولم تكسب . بل ان الاصلاحات الاجتماعية قد وقفت بعض الشيء لانها حسبت في نظر الاحزاب كأنها تجرئة للعمال وحث لمطامعهم

ولو لم تفز أحزاب اليسار قبل سنتين في اسبانيا بأقلية كبيرة من الشيوعيين لما وجد فرانكو سبيلا الى الثورة عليها . هذه الثورة التي لن تمضي أيام معدودات حتى تكون قد أقامت زعيمها على رأس حكومة فاشية جديدة تسير على النمط الايطالي

مساكن الفقراء

لا يتمالك كل مصري يغار على الرقي الاجتماعي من السرور حين يقرأ المحاضرة التي القاها وكيل مصلحة العمل الاستاذ حامد العبد بك . فاننا نجد فيها تفكيرا اجتماعيا كان إلى وقت قريب لا يعد غريبا فقط بل نابيا عن هموم الوطنية كأنه النغمة النافرة في اللحن المنسجم .ولم يكن هذا اللحن المنسجم مع الاسف سوى المشاحنات الحزبية التي يمكن أن توصف بما هو أسوأ من هذا الوصف . بل لعل هناك من لايزال يجد هذا التفكير كذلك وانه لهذا السبب لا يستحق الالتفات او الاهتمام

ولكن من المبالغة في الانكار أو التشاؤم ان نقول ان الوجدان الاجتماعي لا يزال ميتا أو راكداً . فان في ضمير كل مصري مثقف عارا مسكونا هو هذه الحال التعسة التي يشقى بها فقراؤنا من الفلاحين والعمال سواء في مسكنهم أو طعامهم أو الحرمان العام الذي يكابدونه . والمساكن هي الاولى في اثارة ضمائرنا لانها تجرح كرامتنا بحقارتها وتشعرنا بأننا لا نساعد الفقراء على رفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي

وفي المحاضرة كثير من الملاحظات النفسية . فان الاستاذ حامد العبد بك يرى انه ليس لنا الحق في ان نقول «مساكن العمال» وانما الاحرى ان نسميها مساكن الفقراء حتى تشمل مساكن

الحال تعود الى أن المنزل محروم من ضوء الشمس والتهوية والنظافة العامة . فهل فى الدنيا أسهل من سن قانون يشترط على كل من يملك منزلا الا تكون به غرفة بلا نافذة ؟

ان مثل هذا القانون لا يكلف الحكومة شيئا وهو لا يكلف المالكين سوى اليسير جدا من النفقات . ولكن الشمس والهواء حين يدخلان منزل الفلاح يكون منهما وقاية من الامراض ومتعة جديدة لأهل بيته

ثم بعد ذلك نتدرج فى سن قوانين تحتم شروطا صحية جديدة لا ترهق المالكين

والى هذا يمكن الحكومة – كما اشار المحاضر الى ذلك – ان تقوم بما قامت به حكومات المانيا وبريطانيا وهولندا وغيرهن فانهن قمن عن طريق المجالس البلدية ببناء المنازل للفقراء أو أقرضن الشركات التعاونية والخيرية والاستغلالية بعض المبالغ بلا ربا او بربا قليل لا يتجاوز ثلاثة فى المائة لكى تبنى المنازل وتبيعها على خمسين أو ستين سنة للمالكين الذين يؤدون القسط وكأنهم يؤدون الايجار

فاذا انتهت المدة صار المنزل ملكا خالصا لهم . وهذه الحكومات – لكى تقلل النفقات – تجعل البناء على ارضها الخاصة حتى لا ترتفع الاثمان . وتستطيع حكومتنا ان تعمل مثل ذلك فان ربع مليون جنيه كل سنة يرصد لاقراض الافراد او الهيئات القائمة بالبناء يكفل توالى التجديد لبلادنا عاما بعد عام.

ولو كنا نتبع مثل هذه الخطة منذ سنوات لما حدثت هذه الفواجع التى تغض من كرامتنا حين نرى منازل الفلاحين أو حين نسمع عن منزل ينهدم ويقتل تحت انقاضه ١٠ او ٢٠ من المصريين المساكين

وليس المنزل الحسن من الضروريات التى تطلبها الصحة الجسمية وتوقى الامراض الفردية فقط بل هو ايضا شرط للصحة الاجتماعية . لأن المنزل السيء وكر الجريمة ومبعث على الانحطاط الأخلاق

الثقافة والبيئة الاجتماعية

اذا صرفنا النظر عن الوجهة المذهبية لنظرية كارل ماركس الاقتصادية فاننا نضطر الى الاعتراف بانه لم يظهر قط تفسير فلسفى للاجتماع والثقافة مثل هذه النظرية ، ولا نكاد نعرف أداة أخرى لفهم التاريخ ماضيه وحاضره ومستقبله فى الاجتماع والرقى فى الانحطاط مثل هذه النظريه . ومما يوسف

له كثيرا ان هذه النظرية أصبحت مذهبا سياسيا تجذب اليه حماسة المتعلقين به ومقت الكارهين له لأن انتقالها من ميدان الفلسفة الى ميدان السياسة قد جعلها من «العقائد» وبذلك تضيع أو تقل الفائدة التى تعود من درسها

ولسنا فى مقام الشرح لهذه النظرية . ولكننا نقول أنها تتلخص فى ان كل اجتماع فى أى أمة وفى أى عصر انما يقوم على النظام الاقتصادى السائد . فالطبقة التى تحصل على ميزات اقتصادية تحصل ايضا على ميزات اجتماعية . وكلما انحط المركز الاقتصادى لاحدى الطبقات انحط مركزها الاجتماعى . والفلسفة والعلوم والاداب والعقائد والاخلاق والثقافة عامة هى جميعها ثمرة النظام الاقتصادى بحيث لو تغير هذا النظام لتغيرت هذه جميعها . ونحن حين نفكر انما نسير على أسلوب خاص نتقيد به من حيث لا ندرى بهذه البيئة الاقتصادية . فالاديب حين يكتب مقالا أو يؤلف قصة والعالم حين يفكر فى اكتشاف أو اختراع والفيلسوف حين يبحث عما يزعم أنه «الحقائق» والاخلاق حين يميز بين الفضائل والرذائل وبين القيمة الاخلاقية لألوان النشاط البشرى — كل هؤلاء انما يعملون وهم خاضعون للاجتماع المحيط بهم أى للاحوال الاقتصادية التى أوجدت هذا الاجتماع

ولنضرب مثلا على ذلك هذه السيكلوجية التى انشأها فرويد مكتشف العقل الباطن . فان الانسان يتوهم ان النشاط الذهنى وحركة الغرائز يجب ان يكونا بعيدين كل البعد عن نظام القرش والمليم فى الامة وعن الاعتبارات الاجتماعية . ولكن قليلا من التأمل يثبت العكس . فان فرويد يقول ان الكبت أى قمع الشهوة انما يشيع بيننا لأننا نعيش فى بيئة اجتماعية لا تتيح فرصة التنفيس والتفريج للشهوة الجنسية وأن أحلامنا وأمراضنا النفسية هى النتيجة لهذا الكبت . وأن النشاط الفنى والاجتماعى انما هو كبت قد تسامينا به الى منافذ اخرى غير المنفذ الطبيعى . وهذا كله واضح ومعناه ان سيكلوجية العقل الباطن ليست حقائق مطلقة صادقة فى كل زمان ومكان وانما هى حقائق تتعلق بالاجتماع الحاضر فقط . واننا حين ننتقل الى وسط اخر له اجتماع آخر مثل روسيا لا يكون فيه الكبت أو حيث تقل خطورته لا يعود لسيكلوجية العقل الباطن ذلك المعنى الذى لها فى الاجتماع الاوربى الحاضر

وكذلك الشأن فى سائر العلوم والآداب والاخلاق والعقائد . فانها جميعها ثمرة الاجتماع وهى «مكيفة» به أى بالاجتماع فاذا تغير هذا الاجتماع تغيرت هى ايضا ، فاذا شئنا ان تعرف الاسباب التى أوجدت الفلسفة الوسيلية « أو العملية » التى قال بها وليم جيمس فيجب أن نتلمسها فى الاجتماع الذى عاش فيه هذا الفيلسوف . بل نظرية كارل ماركس نفسها انما هى نتيجة الوسط الاجتماعى فى منتصف القرن التاسع عشر . والمكتشفات العلمية الحديثة هى كذلك مكيفة بالاجتماع . والأدب الذى هو استجابة الأديب للطبيعة والاجتماع انما يتكيف بالنظام الاجتماعى حتى وهو يتأمل جمال الزهرة أو النجمة لأنه انما تعلم المقاييس لهذا الجمال من البيئة الاجتماعية

وليس هناك مفكر يمكنه أن يفكر فى الحقائق المجردة . وانما هو يفكر فى أشياء هذا العالم من حيث علاقتها بالاجتماع المحيط به . والتفكير نفسه هو بطبيعته «والفاظه» اجتماعى . ولو عاش أعظم المفكرين ذهناً فى صحراء لكان ذهنه والتراب الذى يدوسه سواء

ومن هنا نستطيع أن ندرك الاسباب التى جعلت رجال الفكر فى الامم الاسلامية يصيرون متكلمين فى القرنين الثانى والثالث . ثم فلاسفة فى القرون التالية . لأن المجتمع الاسلامى كان فى القرون الاولى دينياً أى أن الطبقة السائدة فيه كانت طبقة رجال الدين وكانت لهم جميع الميزات الاقتصادية فاستخدم التفكير فى خدمة الكلام . ثم تضعضع مركز الخلافة «الدينية» وظهر ملوك وأمراء مستقلون فانتقلت الميزات الاقتصادية اليهم وتغيرت الهيئة الاجتماعية قليلا فاخذ الفلاسفة مكان المتكلمين . ونستطيع أن نزيد فى ضرب الامثلة . وحسبنا أن نقول أن الكيمياء فى عصرنا هى قبل كل شىء علم يخدم المصانع . والسيكلوجية علم يحترم الدعاية وكفاءة العمال . أى أن للاثنين تمليلا اقتصاديا

العجوز القاصرة

قرر مجلس الوزراء فى أوائل نوفمبر الماضى الموافقة على تأليف لجنة برياسة وزير الاشغال لوضع نظام الاحتفال بمضى ألف عام على مدينة القاهرة . ومن المدهش أن يبلغ عمر القاهرة ألف عام ولما تبلغ سن الرشد ، اذ لم تنشأ بها بلدية تدير شؤونها وتكسبها الشخصية المعنوية! بل تدير شؤون القاهرة الى الآن مصلحة تسمى « مصلحة التنظيم » هى بدعة من البدع المصرية حتى أنه — كما يقول الاستاذ سلامه موسى — لاتوجد ترجمة لاسم هذه المصلحة فى اللغات الاجنبية فاصطلح على ترجمتها

بخس اسمها العربى !! ولبلدية القاهرة قصة غريبة هى مثال من أمثلة التراخى و الاهمال فى شؤون البلاد الحيوية . فمنذ أمد بعيد ونحن نقرأ من الصحف عن مشروع هذه البلدية : كأن يقال أن أحد كبار الموظفين قد قدم مشروعاً لبلدية القاهرة وهو تحت الفحص ، أو أن الحكومة قد أوفدت بعض كبار موظفيها لدراسة نظم البلديات فى أوربا تمهيداً لانشاء بلدية القاهرة على أحدث النظم ، أو أن اللجنة الرئيسية لدراسة مشروع بلدية القاهرة قد اجتمعت وقررت تشكيل لجنة فرعيه الخ . ثم يقف الامر عند ذلك ولا نرى عملا جديا ، وكأن بلدية القاهرة هذه معضلة من المعضلات العويصه ! مع أن لكل مدينة من المدن المصرية بلدية ، بل لقد أنشئت بلديات لكثير من القرى !! وما على الحكومة لو أرادت اخراج مشروع بلدية القاهرة سريعا الى حيز الوجود ألا أن تتخذ من بلدية الاسكندرية نموذجا تحذو حذوه مع تفادى ما أظهره العمل فى هذه البلدية من عيوب . وليس هذا الامر بعسير : فرجال التشريع عندنا بحمد الله كثيرون ، وعقبة الامتيازات الاجنبية قد ذللت ، وكافة ما فى بلدية الاسكندرية من عيوب مدون فى محاضر لجنة تحقيقات البلدية التى استمرت تعمل فى هذه التحقيقات اكثر من عام وأعضاء هذه اللجنة جميعا موجودون اذا أريد الاسترشاد بهم . وفوق ذلك فان تشريع بلدية القاهرة سوف لا يكون تشريعا سماويا لا يجوز بعد ذلك تعديله حين يظهر العمل ما به من عيوب ! أما أن يحتفل بمرور الف عام على مدينة القاهرة بأن تولم الولائم وتنصب الزينات ثم ينتهى الاحتفال وبلدية القاهرة ما زالت مشروعا يفحص عنه والقاهرة العجوز ما زالت قاصرة كما هى فسوف يكون ذلك سخريه وأى سخريه !! الواقع أن الناس قد سئموا هذه الاحتفالات التى تقام فى كل مناسبه وبلا مناسبه وتبعثر فيها الاموال بلا ثمرة أو فائدة وان القاهرة رغم ازدياد العمران بها زيادة مضطردة ما زالت فى مؤخرة البلاد نظاما ونظافه وأناقه بل هى أقرب الآن أن تكون قريه كبيرة أو مجموعة من القرى . وخير للقاهرة وأبقى أن يكون الاحتفال بمرور ألف عام عليها احتفالا عمليا نافعا وذلك بالاعتراف بشخصيتها وانشاء بلديه لها ، فتبدأ بذلك مدينة المعز لدين الله عهدا جديدا

صلاح الدين كامل

اطالة العمر

نشرت المجلة الجديدة «عدد يناير» مقالا لأحد الاطباء العراقيين قال فيه أنه استطاع أن يحيي ميتا كان قد مضت على وفاته دقائق . وذلك بأن حقن قلبه بقليل من مادة الادرينالين . وقد عادت الحياة الى هذا الميت . وعاش بعد ذلك سنوات ولكنه فقد القدرة على النطق كما فقد التمييز بين الاشخاص

وقبل سنوات استطاع جراح روسي أن يفصل رأس كلب من جسمه ثم وصل الرأس بجهاز يقوم مقام القلب وينقل الى الرأس الدم الممزوج بالاوكسجين . والجهاز يدور بالقوة الكهربائية فيدفع الدم في الشرايين ثم يسحبه من الاوردة فبقي الرأس حيا مدة طويلة يفتح عينيه وينبح «بلا صوت طبعا» ويحرك لسانه عند شمه رائحة الطعام وينفر من وخز الابرة الخ

وعلى هذا المبدأ صنع لندبرج الطيار المشهور بالاشتراك مع الكسيس كاريل العالم البيولوجي جهازا يقوم مقام القلب وغرضهما من هذا الاختراع ان ينزع القلب العاجز من احد المرضى ويركب له هذا القلب الذي يدار ببطارية كهربائية وهما يقولان ان صاحبه بالطبع يمكنه أن يعيش عشرات بل مئات السنين ، بل يمكن ان يركب للسليم كما يركب للعليل لأن هذا الجهاز يمكن الاستبدال به عند بلاه

وكاريل هو الذي يقوم بالتجارب في أنسجة مختلفة من الجسم . وهو يقول ان الانسان مجموعة من الخلايا التي يموت بعضها في حين يبقى سائرها سليما ، بل هو يرى أنه ليس هناك ما يمنع من أن تعيش الخلايا الى الابد ولا تعرف الموت اذا أمكننا ان نعرف كيف نخلصها من المواد السامه التي تحيط بها ، وتتخلف عنها في تمثيلها الغذائي ونشاطها الحيوي . بل هو استطاع أن يجعل نسيجا من قلب فرخ يعيش ٢٥ سنه أي أكثر من عمر الفرخ ثلاث أو أربع مرات . وهو يدعو الى ايجاد مؤسسة

مستقلة غايتها البحث عن الوسائل التى تطيل العمر فى الانسان والحيوان

وقد قام الدكتور ماكيندر الامريكى بتجربة على غاية من الخطورة . فانه حقن عدداً معيناً من الكلاب بمركب من الاورانيوم . فمات بعض الكلاب ، ولم يمت بعضها من هذا السم ، فشرح بعض الكلاب التى لم تمت فوجد فى الكبد خلايا قدماتت ، وقامت مقامها خلايا أخرى أقل كفاءة من الاصليه

ثم حقن الكلاب الباقية بحقنة ثانية من مركب الاورانيوم فلم يمت منها احد وهو يستنتج من هذه التجربة اننا نصطدم فى حياتنا بسموم كثيرة نتغلب عليها ولكن الخلايا الجديدة التى تنشأ عقب السموم والتى تنجينا من الموت هى أقل كفاية من الخلايا الاصلية . وبتوالى السنين ينحط الجسم فينتهى الى الموت

ووجد كاريل ان النشاط ينقص العمر فقد قسم جماعة من الفئران قسمين احدهما منع من من الحركة إلا قليلا . والاخر بحث على اللعب والنشاط والحركة . فنقصت اعمار القسم الثانى عن الاول بمقدار ٣٤ فى المائه . ونستطيع من هذه أن نفهم لماذا تطول أعمار النساء وتقصر أعمار الرجال

واثبتت شركات التأمين ان النحافة تساعد على طول العمر فى حين يؤدى السمن إلى قصره

وقد لخص أحدهم الشروط الرئيسة التى ثبت ان جميع المسنين تقريبا يحصلون عليها أو على معظمها وهى :

١ — انخفاض ضغط الدم وبطء دقات القلب

٢ — ميزة الابوين المعمرين

٣ — النحافه

٤ — قلة المجهود العضلى بعد الاربعين

٥ — الامتناع عن الخمور او الاقلال منها

٦ — الامتناع عن التدخين

٧ — حرفة غير مكروهه

٨ — نفس متفائلة لاتبالى الهموم

٧ — شخصية متشعبة الاهتمام بأعمال مختلفة

١٠ — حظ حسن فى تجنب الحوادث

من علامات الزمن



رجل يتعلق بالباراشوت ويسقط من ارتفاع كيلو مترين

فى روسيا وألمانيا وفى كثير من الامم الاوربيه اصبح الباراشوت أى المظلة التى تمنع السقوط مألوفة كأنها البسكليت عندنا . فان الشبان يتعلمون النزول بها من الطائرات على ارتفاع ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠ متر . وهم يربطون أنفسهم بالباراشوت فاذا كانت الطائرة على أقصى سرعتها القوا بأنفسهم منها . فتنفتح كالمظلة وبدلا من أن تهوى ساقطة على الارض تنزل فى بطء حتى يبلغ صاحبها الارض وكأنه قد وثب مسافة متر بالليل أو أقل . والشبان والفتيات يرتاضون هذه الرياضة حتى اذا نشبت الحرب كانوا فى خدمة الجيش يحملون اسلحتهم وينزلون مئات والوفا فى ارض العدو ويتحصنون أو يفتحون الطريق لهجوم الجيش المغير

ثقافة بشرية؟

أم ثقافات وطنية متعددة؟

للاستاذ سلامة موسى

يجب أن تكون لكل أمة شخصيتها التى تنطبع فى فنونها أدبا وموسيقا ورسما وغناء وغير ذلك لأن الشخصية هى نفسيتنا الخاصة التى هى ثمرة الوراثة والوسط وهما أى الوراثة والوسط لا يتكرران فى كل مكان أو زمن . ومن هنا اختلاف هذه الفنون بين أمة وأخرى وهذا الاختلاف هو من مصلحة الثقافة البشرية إذ هو يعدد الألوان الفنية ويشوبهذا التعددطربا للتطور ويحول دون التجمد فى هذه الفنون حتى تستحيل أساليبها تقاليد لا تقبل الرقى . والفن أقرب الأشياء الى اللغة إذ هو أداء عن النفس بالرسم أو الغناء أو الموسيقا أو النحت أو الانشاء أو النظم . ومن حق كل أمة بل من مصلحة العالم كله أن تكون كل أمة حرة فى الأسلوب الذى تتخذه لهذا الاداء . ولسنا نعنى هنا أنه يجب على كل دولة أن تقرر لأبنائها هذا الأسلوب . لان شرط الفن الاساسى هو حرية الاداء . فالحرية الفنية لأمة ما انما هى فى النهاية حرية الفرد من أبنائها فى ممارسة فنه كما يشاء .

ولكن هناك — غير الفنون — ثقافة بشرية هى ثمرة الرقى البشرى كله على جوانب هذه الكرة الأرضية التى نعيش عليها . واذا كان يجوز لنا أن نقول أن هناك فنا صينيا فى الرسم أو فنا ألمانيا فى الموسيقا فلا نستطيع أن نقول أن هناك ثقافة انجليزية خاصة أو ثقافة روسية خالصة لان الثقافة ملك عام للبشر وهى ثمرة المجهود البشرى كله . فلا نستطيع أن نصف الكيمياء أو الجغرافيا أو التاريخ أو البيولوجيا أو الدين أو الاجتماع بأنها يابانية أو مصرية او فرنسية . ولو كان هناك سبيل الى التأثير فى هذه العلوم بحيث ينطبع أحدها بنفسية احدى الامم لكان واجبنا الاول عند درسها أن نتخلص من هذا الطابع ولا نسلم به

الثقافة بشرية والفنون وطنية . هذا هو ما يجب أن يكون . بل حتى هذه الفنون مع الظروف الجديدة التي تسود وقتنا من حيث التأثير الذي يحدثه السينما توغراف والراديوفون والصحف المصورة والمعارض المتوالية وتبادل التجارة قد صارت رويدا رويدا تخرج من منطقتها الوطنية الى المدى العالمي وصارت تكسب الامم المختلفة ذوقا موحدا في الفنون أو على الاقل في المبادىء العامة له . وما دام هذا التوحيد أو ما يقرب منه يحدث بلا قسر فلا خوف منه من حيث فناء الشخصية للفرد أو للامة . اذ هو عندئذ تطور حر وهذا التطور يجيز التشعب والانتقال والانحراف

ولكن النزعات الوطنية الحديثة قد بلغت من الحدة شأوا عظيما حتى صار دعاتها يدعون الى ثقافة وطنية . وهم بالطبع لا يستطيعون أن يصبغوا الكيمياء أو الطبيعيات بلون وطني ، ولكنهم استطاعوا أن يجعلوا التاريخ وطنيا وأن تجحدوا النظريات الجديدة في السيكلوجيا والاقتصاديات وأن يصبغوا البيولوجيا البشرية بصبغة وطنية . بل الدين نفسه قد لقى منهم تنقيحا ان لم نقل تحريفا حتى صارت احدى هذه الامم في الحدة أو الغلو الذي انتهت اليه بجحد نظريات فرويد في العقل الباطن . وتدرس النظريات الاقتصادية كما تحب أن ترى الحكومة لا كما يجب أن تكون . بل السلالات البشرية نفسها قد عينت قيمتها بالعصبية القومية في السلالة التي تنتمي اليها هذه الامة أو تلك . وأصبح التاريخ يكتب وكأنه مجموعة آراء وأخبار قد مرت تحت يد المراقب الذي تعينه الدولة وقت الحرب لمنع الاخبار السيئة وتزييف سائر الاخبار . فهنا زيادة وهناك نقصان لكي لا يعرف التلميذ أو الطالب أو الجمهور غير ما تحب الدولة أن يعرفوه عن غابر الامم وحاضرها . أو نقول بكلمة أخرى ان الثقافة قد عينت لخدمة الدولة دون خدمة البشر . وهذا يعني ان الدولة قد احتلت المكان الذي كان للبشرية من قبل

وهنا الخطر المظلم . فان الثقافة هي مجهود البشر كله ويجب أن تبقى في خدمة البشرية . كما يجب أن تكون البشرية فوق الوطنية . وهذه الوطنية الحادة الجديدة تجعل من الثقافة وسيلة الى العداوة بين الامم في حين يجب أن تكون الوسيلة الى الاخاء البشري . بل هي كانت ولا تزال كذلك فيما عدا هذه الامم التي ذكرنا . هي التراث الذي ورثنا من جميع الامم وهي التي تربطنا بالجهاد الصادق نحو الرقي العام . فنحن نمارس الثقافة وندرس ونتعلم لكي نرتقي ولكي نجعل الانسان — كما يقول توماس مان — انسانيا . ولكي نزيد السعادة ولكي نمحو الحروب ونجعل التعاون يأخذ مكان

التنازع ولكى تعمم الحياة الطيبة بين جميع الناس . وقد اشتركت جميع الامم فى هذه المجهودات الشريفة وليس من حق أمة أن تستأثر بثقافة معينة وتقول بطريقة فى درس العلوم تشايعها هدفا خاصا دون الهدف البشرى ، وقد سبق للاغريق أن اصطنعوا الثقافة المصرية ، وأخذ الرومان عن الاغريق وأخذ العرب عنهم كليهما ثم عادت أوربا فاصطنعت ثقافة العرب حتى انفجرت النهضة الاوربية. وميزة هذه النهضة هى الروح البشرى

وهذا الروح البشرى هو الى الان ميزة كل رجل مثقف ، وهو الذى يجعله رجلا عالميا فى خدمة البشر قبل أن يكون وطنيا فى خدمة الوطن الخاص الذى ينتمى اليه . فإن هذا الرجل المثقف لا يستطيع أن يفهم للوطنية مغزى الا أنها الوسيلة الفعالة لخدمة البشرية ، فاذا رأى أن خدمة وطنه تقتضى المظالم وتقييد الحريات ونشر الضلالات فان الروح البشرى الذى أثمرته الثقافة فى نفسه يجعله عدو وطنه وصديق العالم أو بكلمة أخرى نقول أن الثقافة تجعل الرجل المثقف ينظر النظرة الدينية لهذا العالم . وهى نظرة تتجاوز حدود الوطن الى المدى العالمى

وبدهى انه اذا تعددت الثقافات وأصبح لكل أمة وطنها الخاص الذى تختار منها لكى تخدم حاربها بالوطنية ، فان هذا التعدد يؤدى فى النهاية الى التفرقة والشقاق بين الامم والى أن تعتقد كل أمة أنها خير من الاخرى ، فلا يكون من ذلك غير الحروب وغرس الاحقاد . وهذا هو ما نحن فيه أو فى سبيله نسير الى نهايته المشؤومة : أثرة وطنية تتغلب على الايثار البشرى!

ومن هنا كان اهتمام المجددين فى أوربا بتأييد الرابطة العالمية والتضامن البشرى بالدعوة إلى تأليف موسوعة تشرف عليها هيئة من الاختصاصيين فتجمع فى مجلداتها ثقافة البشر على مدى التاريخ وتترجم الى جميع اللغات الحية حتى يقرأها الجميع من الجماهير المتعلمة فى كل أمة فيعترف كل قارىء منهم الى المجهود الذى بذل فى الوف السنين الماضية لترقية الانسان ، وان هذا المجهود لم يكن قط ، ولا هو الان مقصور على أمة دون أخرى وانا جميعا أبناء هذا العالم يجب أن يحب بعضنا بعضا وان نجهد الجهد الشريف لرفع المستوى العام للعيش ومكافحة المظالم وزيادة الحرية والنور ، وعلى هذا الاساس وضع الكاتب الانجليزى ولز تاريخه العام للبشر ، وقد أتبع طريقته كثير من الكتاب المجددين

فبهذا النور يجب أن نستضىء ويجب أن ننظر الى الثقافة تلك النظرة الدينية النزيهة السامية

الاصلاح الزراعى في هولندا

الدكتور محمد على الكيلاني

ابتدأت الحكومة الهولندية منذ ٦٠٠ سنة مضت فى السعى الى زيادة مساحة أراضيها الزراعية ولما كانت أراضى هولندا اما تحت مستوى سطح البحر أو فى مستوى مياه الانهر فقد كان لا بد من اتباع سياسة ينظم بها صرف المياه الزائدة وحماية الارض المستجدة من ماء النشم أو الفيضان، ولذا نرى الانهر والمجارى المائية تنتشر فى هذه انتشار الشرايين فى الجسم

ابتدأت هولندا منذ أربعة قرون فى الانتفاع باراضيها المغمورة بالمياه اما بتحويل تلك المياه الى الترع أو بنزحها الى البحر ، ومن أمثلة ذلك منطقة بحر (الزويدر — زى) حيث أصلح ما مساحته ٥٥٠ الف فدان تقدر قيمتها بمبلغ ١٦ مليون جنيه ، وبهذا المشروع زيدت مساحة الاراضى الزراعية فى المملكه ١٠ فى المائة وقد انتفع زيادة على الاراضى الزراعية بتكوين بحيرة صناعية مياهها حلوة . ومن المناطق التى جففت منطقة مساحتها ٤٨ الف فدان وهى تعتبر اكبر مساحة زراعية فى قطعة واحدة فى العالم ، وتقوم



هولندا سنة ١٥٠٠ ومعظم أرضها مغمورة بالماء

الحكومة بجميع مشاريع الاصلاح ومصاريفها ؛ والرسمان يوضحان حالة الاراضى قبل صرف المياه عنها وحالتها بعد تحويل تلك البحيرات الى اراضى زراعية ؛ وهناك طريقتان لذلك . فاذا كان الجزء المغمور بالماء قريبا من نهر حفرت الترع لتوصيله اليه فينصرف الماء بطريق النهر الى البحر ، حتى اذا جفت الارض حفرت فيها المصارف والمراوى لاتمام صرفها واعدادها للزراعة ، أما اذا كان الجزء المغمور بالماء كبيرا ويتصل بالبحر مباشرة كمشروع بحر (الزودر—زى) فيقام جسر حاجز يفصله عن البحر ، وبعد ذلك تقام الاهوسة والطلمبات لرفع الماء من تلك الاراضى وصرفها بالبحر ؛ وقد فهمت من المناقشة أنهم فى هولندا ينتفعون بحركة المد والجزر فى البحر ، خصوصا وان درجته هناك كبيرة ؛ فمياه البحر تتراجع عن الشاطىء مسافة بعيدة ، والطريقة المتبعة أن تقام بوابات أوتاماتيـة على ذلك الجسر الحاجز بحيث اذا انخفض الجزر ضغطت ميـاه المصرف تجـاه الارض البوابات فتفتحها وتصب مياه المصرف فى البحر ، فاذا جاءت مياه المد من البحر كان ضغطها على البوابات عكسيا بحيث يقفلهـا وبذلك لا تدخل بالتالى مياه الى الاراضى الزراعية ، وتلك طريقة معقولة ، ولو انى لا أجزم بمبلغ صحتها



هولندا سنة ١٩٣٤
وقد احيل البحر أرضا للزراعة

بعد صرف الماء عن الاراضى وحفر المصارف والترع بها وشق الطرق الزراعية ورصفها بالمكدام تقوم الحكومة بتقسيم الارض الى مزارع ، وتتفاوت تلك المساحة فى مناطق أرض المراعى من ٤٠ الى ٥٠ أو ٦٠ هكتارا (الهكتار يساوى ٢٫٢٥ فدان) ومن ٢٠ الى ٢٠٠ هكتارا فى الاراضى التى تصلح لزراعة المحاصيل

وبعد تقسيم الارض الى مزارع تبنى الحكومة فيها المبانى اللازمة للزارع من منزل الى اسطبل للمواشى الى مخازن للآلات الى غير ذلك ، ثم تعرضها للايجار على الزارعين بالشروط التالية :

١ — يقدم الزارع طلبا الى لجنة التوزيع بتلك المنطقة مبينا فيه اسمه وعمله وعدد أفراد عائلته ومذهبه الدينى الخ . . .

٢ — يشترط أن يكون لدى الزارع رأس مال قدره ٣٠٠ فلورين (الجنيه ٩ فلورين تقريبا) عن كل هكتار .

٣ — يجب أن يكون حسن السير والسلوك ومهنته الزراعة .

فاذا وافقت اللجنة على هذا الطلب بعد السؤال عن هذا الزارع للتأكد من ماضيه ومن انه معروف بالجد مع تفضيل رب العائلة الكبيرة ، فانها تؤجر له المزرعة لمدة ست سنين ويشمل ذلك المبانى والارض ، وقيمة الايجار لبعض العزب هى ٦٠ فلورين عن الهكتار فى السنة للسنتين الاوليين و ٧٠ فلورين فى السنتين التاليتين ومن ٨٠ الى ٩٠ فلورين الهكتار فى السنتين التاليتين اى ٣ ثم ٣،٥ ثم ٥ جنيهات للفدان بالتوالى ، وبعد مضى تلك المدة إما أن يشترى الزارع المزرعة إذا شاء أو يؤجرها لمدة أخرى بايجار ويحدد حسب حالة الارض الزراعية ، ومتوسط مساحة العزبة الزراعية ٣٦ هكتارا « ٨١ فدانا » ويقدر ثمن الاراضى الجيدة فى سنة ١٩٣١ بمبلغ ٢٤٠٠ إلى ٢٥٠٠ فلورين للهكتار الواحد أو من ١٢٠ إلى ١٢٥ جنيها للفدان وإيجارها حوالى ٤٤ فلورين للهكتار أو خمسة جنيهات للفدان ، ومثل هذه الارض تغل من ٢٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ كيلوجرام من البطاطس تباع من ٣ إلى ٦ فلورين لكل ١٠٠ كيلوجرام ثمن إيراد الفدان متوسطه حوالى ٦ جنيهات .

• • •

ما مساحات المزارع المخصصة للمراعى والتى يمكن ريها من الانهر فهى تتراوح بين ١٠ و ٣٥ هكتارا ، والمقرر لها بقرة وعجل لكل هكتار من الارض ، والزارع يمكنه أن يمتلك عشرة هكتارات ويقوم بحلب عشرة بقرات ، ويمكنه أن يشتغل علاوة على ذلك كزارع مساعد فى إحدى المزارع الكبيرة القريبة منه بأجر يومى من ٣ إلى ٤ فلورين تساعده فى حياته الزراعية .

وتنقسم أراضى هولندا إلى أراضى خصبة طمية حمراء تجود فيها محاصيل الحبوب والبطاطس

واراضٍ متوسطة للمراعى ، وأراضى ضعيفة قلوية ، وتلك تزرع أشجار الغابات كشجر الكافور والحور وغيرها .

• • •

١ — هولندا من أهم البلدان الزراعية فى العالم ، وأولاها فى مشاريع الاصلاح الزراعى .

٢ — جميع مشاريع الاصلاح ومصاريفها تقوم بها الحكومة .

٣ — تنقسم الاراضى إلى مزارع مساحاتها تتوقف على طبيعة الارض وصلاحيتها ، إما المحاصيل أو المراعى أو الغابات .

٤ — مزارع المحاصيل مساحتها تختلف بين ٤٠ أو ٥٠ أو ٦٠ هكتارا .

٥ — مزارع المراعى مساحتها تختلف بين ٢٠ إلى ٢٠٠ هكتار .

٦ — تقوم الحكومة ببناء جميع المبانى اللازمة للعزبة .

٧ — تؤجر العزبة لفترات مدتها ٦ سنين تبدأ السنتان الأوليان بإيجار ٦٠ فلورين للهكتار ثم ٧٠ ثم ٨٠ فلورين ، ويمكن استئجار العزبة لفترة أخرى تحدد قيمة إيجارها حسب خصب الارض

٨ — يشترط فى الزارع أن يكون رب عائلة وعمله السابق مرضيا وكذلك سيرته طيبة وأن يكون معه رأس مال قدره ٣٠٠ فلورين لكل هكتار .

٩ — أن يتولى الزارع خدمة عشر بقرات .

إن الطريقة التى تتبعها هولندا فى إصلاح الاراضى هى من أصلح الطرق ، فقيام الحكومة بإصلاح الارض وإقامة المبانى فيه ضمان كاف لأن يكون الاصلاح تاما ، وأن تكون المبانى جميعها جميلة التنسيق كاملة النظام فى جميع قرى الريف ، فلا يترك الحبل على الغارب لكل زارع يفعل كيف يشاء ، وإن لاشتراط الحكومة أن يكون لدى الزارع رأس مال كاف قبل استئجاره الارض خير ضمان لحسن استغلالها وإدارتها ، فإن الزارع المفلس لا خير منه ولا يمكنه أن يقوم بخدمة أرض هى فى بدء إصلاحها ، وليس فى طلب رأس المال أى ظلم يقع على المزارع بل فيه ضمان لنجاح المشروع وضمان لمال الحكومة وياحبذا لو طبق هذا النظام فى مصر .

وأول ما يلفت نظر الزائر عند مروره فى هولنده هو النظام وحسن التنسيق وارتفاع مستوى الحياة بين الشعب فلا يقع النظر على بيت قديم أو متهدم : كأنما أنشئت جميعها من قريب ، وبجيل

الشعب إلى الألوان الزاهية التى تسر النظر ، ولا يخلو منزل من أصص الزهور ، تحلى بها النوافذ ، فتجذب النظر إليها ، ولافرق فى ذلك بين المدن والريف ، ونسبة عدد المبانى التى تنشئها الحكومة على نفقاتها لأسكان الشعب كثيرة جدا ، وهى مع مطابقتها لجميع أصول الفن الحديث ، فان فيها جمالا جذابا ، وهى فى المدن الكبيرة عبارة عن عمارات لسكنى العمال ، أما فى المدن الصغيرة والريف فتبنى متفردة ، وتختلف ما بين منازل صغيرة للعمال إلى منازل فخمة «فيلات» لذوى اليسار واهتمام الحكومة كبير بمبانى المدارس والمبانى العمومية ، ومن النظم المشكورة أنهم يتعمون بالحدائق ونظام الطرق والترع فى تجميل المبانى ، وهم لا يتركون أرضا فضاء دون الانتفاع بها ، فالأرض الفضاء تحول إلا حدائق للنزهة والرياضة ، فاذا وصلتها المبانى وأحاطت بها اقتضبت الحديقة تدريجيا ، فيترك جزء منها وسط المبانى لذلك الحى . وينقل ما بها من أشجار إلى موقع آخر ، ولا تقتصر أشجار الحديقة على الزينة فقط ، بل هى مجموعة نباتية من أشجار العالم المختلفة ، فكل حديقة فى الواقع مدرسة للشعب ، ومدير الحدائق فى لاهاى يسعى جهده إلى إدخال كل ما يمكنه من نباتات وأشجار القارات الأخرى حتى يتأقلم منها ما يكون صالحا للمملكة الهولندية ، وقد رافقته فى زيارتى لتلك الحدائق ، فرأينا بها أشجارا وشجيرات ونباتات من الهند والصين واليابان وغيرها ، وهو يقوم بتهجين البعض منها بالآخر ، للحصول على أنواع جديدة ، ولقد كان لذلك نتيجته الطيبة فقد أمكنه أن ينتج أشجارا بدلا من الصنف الهولندى الذى أصابته الأمراض الفطرية .

فمملكة هولندة مع صغرها تعد من أوائل الدول فى كثير من الاشياء ، فهى الاولى بين ممالك معالم فى نسبة الصادر والوارد بالنسبة لعدد سكانها ، وهى الثالثة فى بناء البواخر ، ويوجد بها أكبر قناة ملاحية تصل بين بحر الشمال ومدينة أمستردام ، وتلك القناة أكبر من قناة بنما ، وهى أقل الأمم فى نسبة الوفيات ، وذلك دليل على مدى نظافة الشعب وعنايته بالشؤون الصحية ، وانه وان كان نصف السكان يشتغلون الزراعة ، فان النصف الآخر يعمل فى الصناعة ، فهولندا غنية بصناعاتها كما هى غنية بمنتجاتها الزراعية ، اذ تنتج هولندا أحسن أنواع الزبد والجبن والخضر والفاكهة والزهور ، وفيها صناعات كبيرة كصناعة «لمبات» وجهازات راديو فيلبس ، وصناعة الحرير الصناعى وسكر البنجر والطيارات وصناعة الالماس ، وتفخر هولندا بأنها الثانية بعد الدول — بعد بريطانيا — فى مساحة مستعمراتها

الشاعر الهمشري كما عرفته

ذكرى وبحث وتحليل

بقلم صديقه وزميله الدكتور محمد ابو طائلة

كان اول عهدى بشعر الهمشرى حين كنت محررا « للبلاغ الاسبوعى » فى سنة ١٩٣٦ وكان من ابواب هذه الجريدة باب عنوانه « ديوان الاسبوع » أنشر به مختارات مما يبعث به الشعراء . ففى احد الايام جاءتنى قصيدة قليلة الابيات عنوانها « العين الزرقاء » وموقعة بامضاء « م . ع . الهمشرى » ولم يكن معها خطاب ولا ايضاح وانما دلنى ختم البريد انها مرسلة من المنصورة أعجبنى من ذلك الشعر رقته وحلاوته فنشرته فى اول « ديوان الاسبوع » وقدمته على قصائد شعراء آخرين معروفين . وقد كتبت تحت عنوان القصيدة انها « للاستاذ م . ع . الهمشرى » ولم أكن أعلم فى ذلك الحين ان هذا « الاستاذ » ليس الا فتى يافعا وتلميذا بمدرسة المنصورة الثانوية !

وهكذا قال الهمشرى الشعر ونشرت له أولى قصائده وهو لم يكد يتخطى دور الطفولة فكان الشاعر الموهوب منذ حداثته ، وكأنما أحس قصر العمر فتعجل الانتاج الادبى ، واستمر النبوغ والعبقرية ، فما ان بلغ الثلاثين حتى كان قد صعد الذروة وأدى الرسالة .

أما آخر عهدى بشعره - ويا للأسف - فقصيدة عنوانها « عاصفة فى سكون الليل » أعدها للنشر فى مجلة التعاون فأبى القدر الا ان تنشر بعد وفاته . ويراها القارىء فى ختام هذا المقال وهى آخر ما نظم من الشعر .

نشأته وبيئته:

المعروف عن الهمشرى انه ولد بمدينة السنبلاوين لأنها موطن أهله وعشيرته. ولكن الحقيقة كما عرفتها منه انه ولد «برأس البر» فى أثناء اصطياف اسرته على عادتها كل عام. وكان والده المرحوم عثمان بك الهمشرى من الاتراك المتمصرين ومن اعيان مدينة السنبلاوين، مرهوب الجانب مرجو المروءة، وكان شغوفا بالموسيقى والغناء، لا يفتأ يقيم حفلات موسيقية خاصة ويدعو اليها أصحابه من الاعيان، ويعزف فيها على « القانون » الذى كان يجيد العزف عليه، فنشق سكون



المرحوم م. ع. الهمشرى

الليل أعذب الالحان.

وفى هذا الجو الموسيقى، وتلك البيئة الفنية، وفى سكون الريف ورفاهية أعيانه، نما شاعر وترعرع، وجمع بين شاعريته المتمكنة من نفسه ويين تأثير ذلك الوسط الشعرى الجميل، فكان كالبذرة الصالحة تغرس فى تربتها الملائمة فتنمو وتورق وتؤتى أكلها بعد حين.

وما إن شب عن الطوق ودخل مدرسة المنصورة الثانوية حتى فاضت نفسه بشعرها الكامن

يقوله على السليقة من دون كلفة ، فكان شاعر المدرسة الذى لا يبارى .

ومن عجب انه وهو طالب صغير السن بتلك المدرسة قد أكثر من الاطلاع على الادب العربى القديم حتى جنى من اللغة وألفاظها محصولا وافرا استغله فى شعره فى ذلك الحين وفى السنوات التاليات .

ولما تخرج فى مدرسة المنصورة الثانوية دخل كلية الاداب بالجامعة المصرية إذ وجدها أقرب من غيرها الى ميله ونزعته . غير انه كان فيها يتبع وحى هواه فى الاطلاع ولا يرضى ان يتقيد نفسه ببرنامج الدراسة . وانتهى الامر به الى ان خرج منها بعد سنتين وراح يستزيد من الاطلاع ، وقد تفتحت أمامه ابواب الادب الانجليزى فأخذ يلجها ويجنى من هذا الأدب محصولا يضيفه الى ثروته من الادب العربى .

وفى عام ١٩٣٤ عين محررا لمجلة التعاون ومكث يدبج المقالات والقصائد حتى اغتالته المنية صباح يوم ١٤ ديسمبر الماضى على اثر عملية جراحية .

مزايا شعره :

كان طبيعيا وقد نشأ « الهمشرى » فى تلك البيئة الريفية ان يحب الريف ويعشق الطبيعة ، ومن ثم امتاز شعره أول شىء بوصف الطبيعـة والاشادة بالريف . وبينا غيره من شباب الشعراء يتغزل بفتاة حسناء كان هو رحمه الله ينظم قصيدة طويلة فى وصف زهرة أو شجرة ، أو التغنى بطلوع الفجر أو ظهور الشفق ، أو الترنم بخرير الماء أو صياح الديك ، أو مثل ذلك من مظاهر الريف ومحاسن الطبيعة .

وقد خلق فى مجلة التعاون باب « الادب الريفى » و« الادب التعاونى » وفيها كان يحث رسول الريف الى الحضر ، الذى لا يتأتى جمال الحقول ويندد بمن لا يرون آبائه فيفرون الى المدن الصاخبة

ومن الشعر ما نقرأه فتحس ان صاحبه نحته نحتا ، ونشعر فى قراءته بثقل ما عانى فى « نظمه » أما شعر الهمشرى ، فكالماء الزلال انسيابا ، لا جهد فيه ولا عناء ، بل سليقة مطردة ، ووصف متماسك يجذب أوله آخره . وقد حقق فى شعره « وحدة القصيدة » التى كانت مطلبا قديما عجز دونه أكثر

الشعراء . فاذا قرأت قصيدة له خيل اليك لتماسكها ودقة وصفها أنها « صورة » رائعة لمنظر بديع ، وحسبت ان الشاعر انما هو « رسام » أبدعت ريشته تلك الصورة . غير انه رسام لا يلهيه عن الجزء فهو يعنى بكل دقيقة ويبرزها كما يعنى بالمجموع كله .

مما يتصل بذلك وصفه « للالوان » فى قصائده وصفا ما أحسب شاعرا سبقه اليه ، حتى انه يدعى « شاعر الالوان » كما انه شاعر الريف والطبيعة وقد كان رحمه الله فى حياته الخاصة يحب الالوان ويلتفت الى كل زاه غريب منها . ويبدو ذلك فى اختياره « اربطة الرقبة » على الخصوص فقد كان كل حين يفاجئنى برباط جديد منها يلبسه ، وما أكاد أعجب من ألوانه حتى أراها جميلة غير متنافرة .

أما حسن السبك واختيار اللفظ وموسيقية الشعر ، فكلها ماثلة فى قصائده الممتعة . حدثنى الدكتور ابراهيم بك رشاد مدير التعاون قال :

« كان الهمشرى رحمه الله يعلم أولادى الصغار فى أحد الأيام كان عليهم أن يحفظوا قصيـــدة انجليزية عنوانها Dawn DroPs وما يقابلها من شعر عربى ترجمها له شاعر لا أذكره . وقد جهد الأولاد حتى حفظوا القصيدة الانجليزية ولكنهم عجزوا عن حفظ الأشعار العربية التى ترجمت اليها حتى اعتذروا لى . بصعوبة ألفاظها . فما كان من الهمشرى إلا أن ترجم تلك القصيدة ذاتها إلى شعر عربى سلس ، وسرعان ما حفظها الأولاد عن ظهر قلب » .

ديوانه .

كان أول قصيدة نشرت « للهمشرى » هى قصيدة « العين الزرقاء » التى ذكرت فيما سلف نشرها بالبلاغ الاسبوعى . وقد ظهرت بعدها عدة قصائد فى جريدة « السياسة الاسبوعية » وقدمه وقتئذ إلى قرائها الدكتور هيكل بك « باشا » والدكتور طه حسين بك بثناء « مستفيض » ثم أخذ ينشر قصائد فى مجلة « أبولو » التى كان يصدرها الدكتور أحمد زكى أبو شادى .

وعلى ذكر هذه المجلة أقول انها اصدرت عددا خاصا به ملحمة طويلة من نظم الهمشرى عنوانها « شاطىء الاعراف » وقد أوغل فيها فى فياف الخيال على طريقة « الفريد دى موسيه » وفى « لياليـــه » ولكن دون معانيه ، فقد كان الهمشرى رحمه الله لا يكتب إلا وحى نفسه ولا يرضى أن يستمد معنى

من أحد . والحق أنه بتلك الملحمة قد كون مجده فلم يعد بعدها بحاجة الى مزيد . ولو لم يكن له سواها لكفت لان تسلكه فى عداد كبار الشعراء المجددين .

ثم نشر رحمة الله قصائد عديدة فى مجلة المقتطف ومجلة «الرسالة» على أن أكثر شعره الذى نظمه فى السنوات الثلاث الاخيرة قد خص به مجلة التعاون ، وعليها اعتمد فى كتابة هذه العجالة .

هذا وقد عزم الدكتور ابراهيم رشاد بك على جمع شتات شعر الفقيد فى ديوان يصدره قريبا ، تقديرا له ووفاء لذكراه .

اخلاقه .

كان الهمشرى شاعرا فى حياته الخاصة لا فى شعره وحده : فكان قليل النظام ، لا يحب أن يقيد نفسه بأى برنامج فى عمله ورياضته ، ومأكله ومشربه ، وإنما كان يتبع هواه ومزاجه وقد يترك نظم الشعر وكتابة المقالات والترجمة أياما وأسابيع ، وإذا به فى يوم أو يومين يكتب بضع قصائد ويحرر عددا من الموضوعات . ومتى واتاه هواه صمد للعمل وأبدى فيه جلدا لم أره لغيره ، وكان يساعده عليه شبابه وفتوته وبعده عن كل مرض .

أما فى «غرامياته» فكان كالفراشة تنتقل من زهرة إلى زهرة ، وقد يتدله فى حب حسناء — أو غير حسناء أحيانا كما تهديه شاعريته ! — فينظم فيها القصائد الطوال ثم لايلبث أن يزهدها وعلها ولا يطيق رؤيتها ولكنى على خبرتى به ومصاحبتى له أعتقد أنه لم يحب غير فتاة واحدة من قريباته كان ينوى الزواج بها فاتت فى عنفوان شبابها . هذه وحدها هى التى أحبها حبا صادقا إلى آخر نسمة من نسمات حياته القصيرة ، حتى لقد سمعت أنه أوصى حين حضرته المنية بأن يدفن إلى جانبها فلم تنفذ وصيته ودفن بالسنبلاوين .

على أنه رغم جماله وشبابه وتهافت الحسان عليه ، لم يكن بالشاب الطائش الذى ينغمس فى اللهو والمتعة بل كان أقرب إلى الجد والرزانة .

وكان سريع الغضب ، سريع الصفح ، له قلب كقلوب الاطفال صفاء ، لايعرف الحقد ولا الرياء ولا المواربة . وكان شديد الانفة من دون كبر ، كثير الاعتـــداد بالنفس من دون غرور ، يرحب

بالنقد ويستمع إلى النصيحة ، ولا يبدأ أحدا بعدوان . وكان قليل الكلام عن نفسه وشعره ، إلا إذا هاجمه أحد فعندئذ يدافع دفاع القوى الواثق من نفسه .

أما وفاؤه لأصدقائه فكان نادرا فى هذا الزمان فلا عجب ان عظمت فجيعتهم فيه وان بكوه جميعا كما يبكى الأخ الشقيق أو أشد .

رسول الادب الانجليزى

كان العقيد عضوا « بالاتحاد المصرى الانجليزى » ولم يكن ذلك عبثا فقد عرف الانجليز من أعضاء ذلك الاتحاد رسولا للأدب الانجليزى إلى قراء اللغة العربية ، وكانوا يعجبون بوفرة اطلاعه على أدبهم وتعمقه فى دراسة شعرائهم ، وخصوصا «شيلى» الذى كان دائم الاشادة بجمال شعره .

ولم يقف جهده فى هذا الميدان عند حد الدراسة بل ترجم كثيرا من القصائد الانجليزية الرائعة إلى شعر عربى رصين ، لا يحسب قارئه أنه (مترجم) لولا أنه منسوب إلى أصله . وأذكر من ذلك قصيدة IF الشاعر الامبراطورية رديارد كبلنج التى ختمها نصائح غالية للنشء البريطانى ، وقصيدة « القرية المهجورة » لاوليفر جولد سميث ، وقصيدة « إلى القمر » للشاعر شيلى الخ .

واليك بعض ترجمته من القصيدة الاولى :

اذا أنت قد صدقت نفسك بينما ... ظنون الورى ترتاب فى ذلك الصدق

وبالرغم من هذى الشكوك عذرتهم ... وقابلت هذا الشك باللين والرفق

اذا اسطعت أن تقصى عدوك عن اذى ... وتأمن حتى صاحبا لك وافيا

اذا أنت قدرت الرجال جميعهم ... ولم تك فى هذا الحساب مغاليا

ومن قصيدة «القرية المهجورة»

وأسوأتاه لارض أصبحت غنما ... وعاء عاجلة الاسقام والنوب

تزداد ثروتها والقوم تحوتهم ... تهوى فتوتها خوارة العصب

أهل الامارة من صيد غطارفة ... أو من ذوى الجاه والالقاب والرتب

ومن قصيدة «شيلى» بعنوان «الى القمر»

أشاحب أنت من هم وتفكير ... وسام أنت من ضنك وتكدير

ان رحت ترقى سماء لا أليف لها ... كيما يواسيك فى ترحالك النورى

تسير بين نجوم ليس يوثقها ... عمر ومسراك فى حلك الدياجير

شاعر الطبيعة

من قصيدة للهمشرى فى وصف الربيع :

هو الربيع اذا هبت شمائله ... هز البسيطة دانيها وقاصيها

فصل جميل من الجنات مشرقه ... تبدى الطبيعة فيه كل ما فيها

كأن أيامه والسحر يطلقها ... أحلام حسناء طافت فى لياليها

كأنما النور فوق العشب مسرحها ... والزهر اسرابها وفت على فيها

ومن قصيدة له عنوانها «طلوع الفجر»

فى سكون الليل والفجر غريق ... نبه الوسنان صداح السحر (١)

مالهذا الشرق يبدو فى حريق ... اذعر الانجم منه والقمر

ايها النعسان فى دنيا السنا ... تمطى فى سرير الشفق

الندى حولك يهمى موهنا ... والازاهير حيارى الحدق

هتف الكروان فى الافق البعيد ... كالمصلى تحت محراب القمر

ناسك فى الليل يدعو ويعيد ... هام وجدا بالذى صاغ السحر

شاعر الريف

من قصيدة له بعنوان «مسارح الشفق»

شأن نفسى وذاك فى غرام ... ان تحب النبات والاعشابا

---

(١) يقصد الديك

وتلذ الجلوس فى ظل أيك رفرف الطير فوقه أسرابا
وانحنت تحته الغصون سكارى مائلات أعطافها أعجابا
يتغنى بين الثمار بلحن هل سمعت القيــان غنت طرابا
من وحيدين يسجعان سرورا وفريدين بشدوان انتحابا
وجرى المـاء فى الغدير رحيقـا وجرت فوقه الزهور حبابا
وكأن النوار فيه نجوم ركبت تحتها المياه سحابا
وحكى السرب فى الربى مستهاما وحكى بينه الغـدير كعابا

ومن قصيدة له عنوانها « الاغنية المسائية أو عودة الراعى »

ها هو الليل مقبل يتهادى فارسا يمتطى ظهور التلال
ونسيم المساء يسرق عطرا من رياض سحيقة فى الخيال

ومنها قوله :

كم مشينا بين الحقول طويلا نشتكى الشوق والهوى والغراما
واذا مـا تعبت نجلس حينـا فوق شط الغدير نشكو السقاما
تحت تعريشة من الكرم نرعى قمر الليل فى جلال السكون
وخرير الميـاه فاض غناء مثل قلبى يهدى اليـك حنينى
والنسيم العليل يعبق عطرا يتهادى فى غيرة من دلالـك
ونجوم المســاء تحنو علينا بشعاع يحـكى شعاع جمالك

الشاعر الرسام:

من قصيدة للفقيد عنوانها « حدائق الشفق »

بين الدجى واحمرار شفه الشفق النور يرقص فى عينى ويأتلق
لا هدأة تسعد الحيران ، لا سنة تقر بها عين قد شفهـا الارق
فلا أرى غير أحلام بكوكبة وغير رسم سماء بات يحترق

هذا النهار خلال السحب يظهر لى ... لقد لمحت على الوادى بشائره
تلوح شاحبة ، فى الشرق حالمة ... توشح السحب الدكنا ضفائره
وانت يا فورة الحسن التى خفيت ... أين الفكاك أو ألقى مصادره ؟

ثم قوله :

وكانت السحب الشهباء سارية ... على المحيط خفاف الركب فى سرب
قد أبدعت صبغ وشى من مطارفها ... فى حمرة عجب ، فى فتنة ذهب
وترقص الأنجم الزهراء رقصتها ... فى مطلق من أثير الجو ملتهب

ثم قوله :

أما الدجى وشع الأمواه بالنور ... فزورق ناصع الألوان بلورى
بنياه فى شاشب الأمواج مضطرب ... يختال ما بين تصعيد وتغوير
بدا الدليل له فى الليل منبهرا ... فى اللؤلؤ من الأنوار مسحور
لم يشهد الكون فى آزاله أبدا ... هذا الجلال الذى يسرى على الماء
قد ظل نجم الدجى سهمان يقذفه ... بأسهم تتهادى منه وضاء
صيغت من الفلك الناق أشعتها ... فأصبحت بين بيضاء وزرقاء

شاعر يرثى نفسه :

كأنما كان يحس الهمشرى دنو أجله وهو فى ميعة الصبا ، وكان يردد هذا الشعور فى قصائده وإن لم يتحدث به قط لأصحابه . ولعل أصرح نبوءة له قوله نهاية قصيدة « العودة »

لقد خف نسيم الصبح يهمس ناعيا ... الى السهل أن فارق الكون شاعرا
لذا نعس النحل الزهور فجلجلت ... ونابت عن الأجراس هذى الأزاهر

وكأنما كانت روحه تطل على الأبدية وهو لا يزال فى هذا العالم الفانى . يدل على ذلك قوله فى القصيدة عينها :

لقد فرغت فى عالم أكثرن جولتى ... ما فرغت منى الليالى الدوائر

فيا أفق الدنيا ويا فجر ليلها ... ومن خفقت فيه المنى والخواطر

ومن تسبح الأحلام فى ملكوته ... حيارى وتغنى فى هواه المشاعر

أيا شفقا فى عالم جو أرضه ... خيال على الوادى المهوم ساحر

تحف بها فى الصمت أشجار جنة ... يعاوحى منها على الوهم عاطر

وأسمع موسيق بها ذهبية ... تفيض بها فوق المروج قياثر

وأترك عينى فى الخيال تشقه ... فألمح أشباحا هناك تسامر

وقوله فى قصيدة «حدائق الشفق» :

ذهلت فى حلم غاف .. وخيل لى ... إنى عبرت طريقا كلها ظلم

لم يغشها من بنى الانسان منتجم ... قبلى وما وطئت أرضا بها قدم

تحف دغلا تثير النفس وحشته ... الصمت يحكمه والليل والاجم

وقوله فى القصيدة عينها :

أحسست بالقلب ناراً طاف طائفها ... لما رأيت نمر البحر قد سطعا

وقفت منذهلا ، أرعاه ، مفتملا ... كأن نور آله فوقه طلعا

أحنيت رأسى اجلالا وتكرمة ... له وظلت من التقديس مختشعا

الهمشرى التعاونى

لم يكن من محض المصادفة أن يعمل الهمشرى فى قسم التعاون خمس سنوات متواليات فقد كان فى امكانه اذا شاء أن ينال «وظيفة» أحسن من وظيفته و«درجة» أعلى من درجته ، فى ديوان آخر من دواوين الحكومة . ولكنه مال الى التعاون بكل قلبه لانه ألفاه يتصل بالريف اتصالا وثيقا ، ويخدم الريفيين الذين نشأ بينهم وأحبهم حبا صادقا .

ومن ثم لم يكن عمله فى مجلة التعاون عمل « الموظف » الذى يؤدى «واجبات وظيفته»، بل كان يشعر دائما أنه يعمل فى حركة اصلاحية عظيمة الاثر ، فلا ينى يكتب المقالات ينادى فيها باصلاح أحوال

الريف ويندد بأعيانه الذين تبهرهم أنوار المدن فيهربون اليها ويهملون أراضيهم ، وكان لا يفتأ يتنقل في قرى الصعيد والوجه البحري ليزور الجمعيات التعاونية القائمة فيها ويكتب عنها في مجلة التعاون منوها بتقدمها أو ناصحا باصلاح عيوبها . ومن لطائفه ان شاعريته كانت تغلب عليه عند الكتابة عن تلك الجمعيات فيفيض في وصف القرى وما حولها — وقد يقف بكلمة مثلا وقفة طويلة عند شجرة جميز صادفته في احدى جولاته ... فتخرج مقالته قطعة من الادب أو قصيدة من الشعر المنثور

ولعل أقوى برهان على ايمانه بالتعاون انه في آخر مرة زاره فيها الدكتور ابراهيم رشاد بك مدير التعاون بالمستشفى ، أوصاه الفقيد وهو لا يكاد يقدر على النطق بأن ينشيء جمعية تعاونية في بلدته « السنبلاوين » قائلا انها لا يليق أن تبقى عاطلة من التعاون وقد أفنى ابنها زهرة شبابه في خدمته .

وكان قبل بضعة أشهر من وفاته قد بدا يدرس التعاون بالمراسلة مع كلية التعاون بمانشستر ليحوز دبلومها بعد ثلاث سنوات لولا أن دهمه الموت .

الهمشري الصحفي

كان وقت الفقيد مقسما بين الشعر والصحافة . ونفس عمله بالحكومة لم يكن سوى عمل صحافي لانه لم يمارس طول « توظفه » غير التحرير في مجلة التعاون . وكان رحمه الله فضلا عن ملء باب « الادب الريفي » وباب « الادب التعاوني » بشعره الجزل يكتب أبوابا أخرى ويحرر موضوعات عديدة بالمجلة ، ويترجم مختارات من المجلات التعاونية الانجليزية ويرتب أعداد المجلة ترتيب صحفي قدير .

على أنه الى جانب ذلك اشتغل بالصحافة اليومية زمانا طويلا فقد مكث زهاء العام وهو في عداد محرري جريدة « المصري » يترجم لها قصصا قصيرة وروايات طويلة متسلسلة ويلخص « رسائل الاقاليم » ويؤدي غير ذلك في صميم الاعمال الصحافية . ثم انتقل الى جريدة « الدستور » فصار يكتب لها روايات متسلسلة تنشر تباعا . وكتب كذلك عدة قصص لجريدة « الصباح » وترجم كثيرا من « روايات الجيب » وكتب بعض موضوعات لجريدة « المصور » . كل ذلك وهو بعيد عن « السياسة » بريء من الحزبية »

ولو لم يكن موظفا بالحكومة لبرز فى الصحافة ولصار صحفيا من الطراز الاول .

• • •

عاصفة فى سكون الليل

آخر قصيدة نظمها المرحوم م . ع . الهمشرى

ولم تنشر قبل الان

أشرق كالفجر غراء الجبين　　　واتركى نورك يهدى العالمين

واطلعى فى ليل حزنى كوكبا　　　يعصمنى من ضلال العاشقين !

واطرحى فى قفر عمرى زهرة　　　طلها تنمو وتزكو بعد حين

وابسمى تبسم لنا بيض المنى　　　واضحكى .. تضحك لنا غر السنين

• • •

ها هو الليل كما كان بدا　　　يحمل الحزن لقلبى والحنين

هيكل الاحزان فى محرابه　　　قرب العشاق قربان العيون

عطره .. أحزان أزهار الربى　　　ونداه .. عبرات البائسين

وسرى النسيم فى احشائه　　　مهج ذابت وأرواح فنين

كل شىء هان فى شرع الهوى　　　ياملاكى .. والهوى ليس يهون

• • •

لم ير سوى الليل بنت هوى　　　قرأت ما ستعانى فى الجبين

لبست فى بدئه ثوب الهوى　　　وبأخراه ثياب النادمين

• • •

أو عميد بات مطوى الحشا　　　فى سكون الليل مبحوح الانين

قام فى الليل كسيف غاير　　　وكأن الليل محراب القرون

أو مغن غلب الحزن على ... وتر اللهو لديه والمجون
ليس يدرى فكره ما لحنه ... وهو رجع السحر من ماض شطون

•••

أيها الليل أتينا نشتكى ... فاستمع شكوى الحزانى المتعبين
هدنا الحزن ، وأضنانا الاسى ... وبرانا الوجد فى دنيا الشجون
قد شكونا .. وجئنا نشتكى ... لك شيئا من خيال الذاهلين

•••

اننى بالليل أحكى غنوة ... فنيت فيك على مر السنين
واستحالت فى الليل قبرة ... تتغنى فى دجى وادى المنون

•••

انى بالليل احكى حزمة ... من شعاع فى سماء الحالمين
ضمها نحوك فكر هائما ... أزعج الأرباب بين الثائرين
واستحـــــالت زورقاً تعبره ... فزعات الموت ليلا فى سنين

•••

هذه اغنيتى رتلتها ... لك يادنياى فى دير السكون
لحنها أنت .. وحزنى وقعها ... ونذير الموت بعض السامعين
لا تلومى ما بها من حزن ... انما الاحزان موسيقى الحزين
أعذب الالحان لحن أفرغت ... فيه انات الاسى طى الحنين
عانقينى فى الدجى .. اقتربى ... اننى افزع مما تفزعين
قربى خدك .. ضمينى الى ... صدرك الحانى .. الثمى هذا الجبين
انما نحن كوكب ضل فى ... تيه الصحراء .. بقوم تائهين
قد نسينا كل ما كان لنا ... وتركنا فى غد ما سيكون

اليهودى التائه

للاستاذ ميشيل عبد الاحد

من بين الاساطير المهمة التى يجدر بنا درسها لقيمتهـــا التاريخية : اسطورة بروتستانتيه عن يهودى تعرض للسيد المسيح فى طريقه ألى الجلجثة منتهرا أناسرع لا تلكا" .فأجابه المسيح: «ها انذا ماض . . . أما أنت فستنتظرنى الى أن أعود ! » فصار على ذلك الرجل أن يطوف تائهاً فى مجاهل الارض حتى المجىء الثانى الذى يعتقد به سواد المسيحيين وصار لذلك يعرف باليهودى التائه أو اليهودى الخالد كما هو فى الترجمات التوتونية

جاء فى النبذةالتى طبعت عن هذه الاسطورة فى لندن سنة ١٦٠٢ أن بولس فون أيزن أسقف شلزويج المتوفى سنة ١٥٩٨ قابل فى همبرج فى سنة ١٥٤٢ يهوديا اسمه أحشويرى أفضى أليه بأنه اليهودى التائه الخالد الذى لعنه المسيح ، وما أن طبعت النبذة حتى تقدم كثيرون من ذوى المكانة زاعمين أن اليهودى التائه قد ظهر لهم ودونت حوادث الظهور هذه من سنة ١٦٠٢ ألى سنة ١٦٨٠ ثم انقطعت ولم نعد نذكر من الاسطورة ألا ما تركه لنا عنها أماجد الكتاب والشعراء الذين حاكوا حولها الروايات والقصـــائد . وقد ترجم أحدها وهى رواية « اليهودى التائه » لأوجين سو الفرنسى الى اللغة العربية أكثر من مرة

وسواء أكانت القصة تمثيلا لحادثة قايين الذى قتل أخاه هابيل فوقعت عليه من جراء ذلك لعنة الطواف والتشرد ام كانت تحويرا لما جاء فى متى ١٦ : ٢٨ عن فم المسيح « الحق أقول لكم ان من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيا فى ملكوته » فهى على كل حال وقبل كل شىء تصوير قريب من الواقع لحالة اليهودى وتعليل من التعليلات الكثيرة

لحنته الابدية . فهذا « اليهودى التائه » يرمز ألى الشعب اليهودى قاطبة هذا الشعب الذى أفعم تاريخه بالهجرات والطواف والتشرد والاضطهاد ونمت فى طريقه الاشواك والمآسى والخطوب

أن ما نراه اليوم فى المانيا وأيطاليا ورومانيا أن هو ألا حلقة فى سلسلة من هذه المحن

أنهم هاجروا كغيرهم من الشعوب من بلدان تفيض لبناً وعسلا بحسب تعبيرهم ولكنهم ضربوا الرقم القياسى فى تغلبهم على كافة المصاعب وخروجهم من المحن متماسكين متراصين ، فهم لم ينقرضوا كغيرهم من الشعوب الكثيرة البائدة

ألى فلسطين استغرق نزوح اليهود من أور الكلدانيين ومن صحارى بلاد العرب — وهى أول هجرة يعرفها لهم التاريخ — من سنة ١٢٠٠ الى ١٤٠٠ قبل الميلاد وهنالك قاوموا الكنعانيين مقاومة شديدة ولم يستحوذوا منهم الا على التلال والاماكن القليلة التحصين ، ولم تسقط أورشليم فى ايديهم نهائيا الا فى سنة ١٣٠٠ق . م . وأدى تمازجهم مع الكنعانيين ألى أقلاعهم تدريجيا عن حياة البداوة ولو أن أبناء الجنوب منهم ظلوا على معيشتهم الصحراوية مما أوجد بينهم وبين أبناء الشمال نفوراً وتباعداً فى الامزجة استمر قرونا — ولا يعزب عن البال أن سكان فلسطين الاولين — قبل الكنعانيين الساميين — كانوا من الحثيين وهم شعب آرى امتازوا بهذا الانف المقوس الذى ينسب خطأ ألى الساميين وحدهم ، وفى هذا دحض لنظرية خصوم السامية

ويهمنا كمصريين أن ندرس هجرة بنى يعقوب الى مصر على أيدى يوسف الصديق — لم يكن هو أول يهودى وطئت قدماه أرضنا ، فقد حضر ألى مصر الاسماعيليون وهم من أبناء ابراهيم جده الاكبر وقد زار مصر بدوره مع زوجته ساراى وخرجا منها بخير عظيم (وهذا هو مدلول عبارة « باركه الرب » التى ترد كثيرا فى التوراة عن أفراد هذا الشعب) . سرعان ما ازدهر اليهود فى مصر ونما عددهم وثروتهم مما أخاف المصريين منهم ولا سيما أنهم شابهوا الهكسوس أو كانوا من أقربائهم بحسب رأى بعض المؤرخين . ولم تكن ثورة رمسيس الثانى عليهم الا ثورة قومية تفاقمت حتى وصلت ألى طردهم فى أيام ابنه منفتاح على أيدى قائدهم ونبيهم موسى الذى قد يعتبر أول صهيونى عرفه التاريخ لهم — أقول هذا بمعنى من المعانى لان صهيون لم تعرف ألا فى أيام داود ثانى ملوك اليهود وكانت تطلق بادىء ذى بدء على جبل صغير فى حدود أورشليم ثم صارت تطلق على اورشليم نفسها

وأخيرا اتسع معناها حتى شملت حركة ايهود التى ترمى ألى جمع شملهم فى وطن قومى ، اختير له بكل أسف ولفائدة سياسة معينة ليس ألا — بلاد فلسطين مع أن اليهود قد خرجوا منها منذ اكثر من الفى سنة .

هاجر اليهود من مصر ـ وتعرف هذه الهجرة بالخروج — وهاجر منها معهم عدد من المصريين الذين قد يكونون مسئولين عن عمل العجل الذهبى الذى عبده اليهود فى برية سينا . لانه لم يكن ألا العجل إبيس بعينه — ولا غرو فقد قضى اليهود فى مصر اربعمائة سنة لا يعقل ألا تترك فيهم أثرا قويا من ديانة المصريين وعاداتهم ودمهم

بعد تشتت أربعين سنة فى شبه جزيرة سينا عاد اليهود ألى فلسطين ولكن بعد وقائع كثيرة مع العمالقة والاموريين وجلهم من أبناء جلدتهم ممن لم يهاجروا معهم ألى مصر

وما استقر المقام لليهود فى فلسطين حتى ظهر لهم فيها مناوئون مشاركون ، وهم الفلسطينيون سكان كريت الاولين الذين طردهم الاغريق منها فلجأوا الى تلال فلسطين ولم يخضعوا الا بعد قرون طويلة على يدى داود . ملك اليهود بعد تمازجهم مع المؤابيين والمدائيين وهم أيضا من بطون اليهود وهذا عنصر آخر يدخل فى دم اليهود فيدحض نظرية خصوم السامية

كثر اختلاط اليهود بالامم المجاورة والبعيدة فى أيام داود وسليمان ، لا سيما فى عهد الاخير الذى كانت له علاقات تجارية معروفه مع الاراميين والمصريين والاحباش هذا الشعب الباقى الذى مازال يحتفظ بجاليات يهودية قوية ويفتخر بأرجاع نسب ملوكه ألى ثمرة سليمان من ملكة سبأ

كان الشرق الادنى فى ذلك الوقت اشبه شىء بالحالة السياسية والاجتماعية بالشعوب الاوربية فى الوقت الحاضر ، فى تنافس وتنافر وحروب وامتزاج أدى فى نهاية الامر — فيما يختص بالشعب اليهودى — ألى السبى البابلى سنة ٧٣١ قبل الميلاد على يد ، وخذ نصر ملك بابل

دام هذا السبى سبعين سنة مكن اليهود من تلقيح حضارتهم — أذ اصبحت التسمية — بالحضارة البابلية (الكلدانية) فلما رخص لهم بالعودة ألى بلادهم وأصلاح شئونهم كانوا بحسب رأى برستد المؤرخ المشهور — شعباً جديدا له عادات جديدة ومميزات جديدة . عندئذ فقط تبدأ نهضتهم الثقافية وأشادتهم بمجد آبائهم و كتبهم الادبية (بعض أسفار العهد القديم) وعندئذ فقط يشعرون

بسكيانهم الاجتماعي وبالرغم مما لاقوه من اضطهاد فى ايام استير كانت لهم مراكز لابأس بها فى البلاط الملكي وفى الوظائف الكبرى

تاريخ اليهود بعد الرجوع من السبي هو تاريخ نضال للرجوع الى العصر الذهبي ، هو تاريخ الحنين الى صهيون مدينة داود ، هو تاريخ التعطش الى الاستقلال الذاتي الذى حققه لهم ملوك المكابيين الذين حكموا فى فترة الاربعمائة عام التى تفصل العهد القديم عن العهد الجديد والذين انقضى حكمهم بجلوس هيرودس الكبير على عرش اليهود ، الملك المقترن اسمه بميلاد المسيح والذى مهد خلفاؤه الطريق للفتح الرومانى ولسقوط أورشليم سنة ٦٩ مسيحية وتشتت اليهود بعده فى مجاهل الارض الى يومنا هذا

ولعله لا يوجد بين الكتب التى تبحث فى آلام اليهود وآمالهم الى زمن السقوط أفضل من تاريخ يوسيفوس اليهودي الذى حضر وقائع الدمار الأخيرة ، والذى يصل به حب الاشادة بمجد أبناء جنسه أن يجعل سفو بن اليفاز بن عيسو أخو يعقوب أول ملوك الكتيم اى أسبانيا

بعد سقوط أورشليم تشتت اليهود أيدى سبا فهاجر فريق منهم الى بلاد العرب وأنشأ لهم على ممر الزمن مستعمرات يانعة كانت أشبه بمواطن إخوانهم بنوشمعون وغيرهم ممن هاجروا ايام داود أو حزقيال ، وهؤلاء وصلوا فى ترحالهم حتى بلاد الحجاز فأسسوا لهم ولايات فى خيبر ويثرب ووادى القرى ظلت مراكز قوية للتجارة العربية بين اليمن والشام الى عصر ظهور الاسلام حين تبددوا لانهم كانوا عائقا للوحدة العربية التى كان ينشدها العرب

• • •

وهاجر فريق آخر الى اوربا متجهـا فى طريقين مختلفين ففريق استوطن اقليم بحر الخزر شمال البحر الاسود واتجه غربا فى محاذاة الدانوب ثم الراين حتى وصل الى بولندا وروسيا ولعل ذلك كان فى القرن الثامن عند ما أعتنق خان الخزر اليهودية هو وجمهور كبير من شعبه ، وفريق رافق العرب الفاتحين الى اسبانيا سنة ٧١١ ميلادية وبقوا فيها حتى أقصاهم عنها فردينند قشطالة فى حملته القومية المعروفة — فهاموا على وجوههم مرة اخرى واتجهت جماعات منهم الى الموانى الايطالية فطردوا من بعضها وقبلوا فى البعض الآخر ، والذين ساروا منهم نحو الموانى الافريقية مثل بهم اشد تمثيل من

أجل الجواهر الثمينة التى كانوا يظن أنهم يئتامونها عند ما كانو يداهمون — استقر بعضهم فى البندقية بعد هجرات أخرى وهؤلاء أمدوا رحلات كولمبس بالمال الوفير علهيهتدى ألى طريق تجارى جديد يستفيدون منه أو بلاد جديدة يهربون أليها من الجور والاضطهاد ، ولا يبعد أن كولمبس نفسه كان يهوديا متنكرا مثلهم

وابحرت جماعات اخرى فى المانش بين انجلترا وفرنسا اللتين أقفلتا بلادهما حينئذاك فى وجه اليهود ، واستقرت فى هولندا حيث تنسمت أريج الحرية دينيا ومدنياً ومن هؤلاء سبينوزا الفليسوف المشهور

كانت القرون الوسطى أياماً مريرة لليهود فى أوربا فانهم حرموا ملكية الاراضى ونقابات الصنائع فلم يجدوا أمامهم ألا التجارة والاشغال المالية فأوغلوا فيهـا وسادوا أوربا بواسطتها حتى حدتهم الحكومات . أما يهود أسبانيا فأنهم اهتموا بالمسائل العلمية والفلسفية فكان لهم حظ وافر فى أيقاظ أوربا من هجعة القرون الوسطى

واليوم يثور البركان من جديد فتنادى النازيه والفاشيه وغيرهما من الانظمة الدكتاتورية المغالية بمناواة اليهود وطردهم مستندة فى ذلك الى نظريات العصبيات الجنسيه ومقاومة الماركسيه والبلشفيه والماسونيه

فلا غرو ان قامت جماعات اليهود فى كل العالم تنادى بالوحدة القوميه والعودة الى بلاد الاباء التى اقسم يهوه ديشهم ان يعطيها لهم ولأبنائهم . ولا سيما أنهم شعبه المعزز المختار الذى شاء أن يملك عليه ويوجهه ويرفعه . هذا ما يعتقد به اليهودى ولسنا نسأله عن صحة اعتقاده وعدمها ولكننا نرى ان هذه الفكرة لا تزال الدافع القوى على تضافره وتماسكه وتكوين هذه الشخصية الخاصة التى تميزه عن غيره من الشعوب ، والتى تجعل منه اليوم وحده جنسية قوية مع أنه كما يرى المستر هنرى فيليد من المتحف الاهلى بشيكاغو ليس الاوحدة ثقافية تدعمها عصبية الاجداد مع وحدة الامال والامانى وشركة الالام والخطوب

يمكن أن نستقصى حركة الوطن القومى التى نسميها الصهيونية الى يوسف الصديق الذى لم ينس وهو على فراش الموت كعظيم مصرى أن يوصى أخوته أن ينقلوا رفاته الى أرض آبائه حينما يعنون الى وطنهم القديم ، وهذا ما تحقق على يد زعيمهم موسى كما تقدم .. ظلت الحركة بين مد وجزر الى

القرن السادس عشر حين قام دافيد روبيني وتلميذه مولكو يدعوان يهود العالم ليتحرروا ويكونوا لهم وطنا يرحب بهم ؛ فلما كان القرن السابع عشر رأينا منسى بن اسرائيل يفاوض الانجليز لاسكان اليهود فى انجلترا تمهيدا لارسالهم الى أورشليم ، ثم ظهر ساباتى زيفى فى أزمير وادعى أنه المسيح واستطاع أن يجمع حوله أنصارا أقوياء ظلوا يناضلون لأجل قومهم رغم سقوط زيفى — واتخذت الحركة فى القرن الثامن عشر شكلا جديدا عندما دعا موسى مندلس الدول الى تحرير اليهود سياسيا واقليميا بمعنى أن يمنحوا حيث يوجدون حريات سياسية ودينية يسيرون بها أمورهم ، وتبع ذلك حركة احياء آدابهم التى بثت فيهم شعور بكيانهم الشعبى فعمدوا الى فتح مدارس لابنائهم وتأسست جمعيات تعاونية تشد أزرهم وجمع اعانات مالية لاقامة منشآت تنشر رسالتهم وتثبت دعايتهم . وقد أبدى الانجليز عطفا معنويا نحوهم ولمحوا الى ضرورة انشاء الوطن القومى اليهودى ، وكانوا يرمون الى غرض سياسى صرح به بعد ذلك هو لنجوورث فى كتابه « اليهود فى فلسطين » الذى ظهر فى سنة ١٨٥٢ وسوكولو فى كتابه « تاريخ الصهيونية » الذى ظهر سنة ١٩١٩ وهو ضمان طريق برى الى الهند فى حالة ما اذا هددت احدى الدول طريقهم البحرى اليها . ولقد قصدوا بذلك بتر سياسة فرنسا التى كانت فى أيام نابليون ترمى الى قطع طريق الانجليز الى الهند باحتلال مصر فلما فشلوا فى ذلك اتجهوا الى اليهود يستميلونهم ليكونوا منهم فى فلسطين حاملا قويا يقطع على الانجليز طريقهم البرى الى الهند

وشاءت الظروف فى الشرق الأدنى بعد مذابح الارمن المشهورة أن تحى المسألة الشرقية ، ولما كانت المشكلة تعنى حق تقرير المصير للشعوب المهضومة سعى الانجليز حتى احتسب اليهود أحد هذه الشعوب ، وتبع ذلك طلب ساستهم أمثال لورد شافتزبرى وبالمرستون وبيكنزفيلد وسالسبرى من الباب العالى منح اليهود وطنا فى الارض المقدسة

جاء القرن التاسع عشر فأحيت معه حركة مقاومة السامية التى صادفت هوى من سياسة بسمارك والتى وصلت الى أشدها فى روسيا ، والتى عرفت فى فرنسا فى قضية الفرد دريفوس ذلك الضابط الفرنسى الشهير الذى اتهم بافشاء أسرار حربية لالمانيا فدافع عنه اميل زولا الكاتب الفرنسى المشهور فى كلماته النارية « انى أتهم » التى فازت ببراءة المتهم . ولم تكن هذه الحركات العدائية نحو اليهود إلا صدى للحركات القومية التى امتاز بها ذلك القرن فى أوربا والتى نرى التاريخ يعيدها لنا فى القرن

العشرين فى المانيا وايطاليا وغيرها .

فى وسط هذه الاضطرابات يظهر فى النمسا صهيونى قوى هو تيودور هرزل الذى يعتبره اليهود اكبر زعيم ظهر بعد موسى ولا غرو فقد أمكنه أن يحصل لهم على امتيازات محسوسة فى فلسطين بعد مفاوضات كثيرة مع دول أوربا والباب العالى ، وقد اقترح فى كتابه «المملكة اليهودية» أن يؤسس الوطن اليهودى تحت حماية السلطان وسلطته . وقد فكر فعلا أن يعطى اليهود شبه جزيرة سينا أو مستعمرة صغيرة فى شرق افريقيا تحت نفوذ احدى الدول العظمى ولكن وقفت المسألة بعد موت هرزل عند حد المفاوضة . على أن اليهود استطاعوا أن يملكوا فى فلسطين سهل جواش تجيشو الذى تبلغ مساحته ٦٠٠٠ متر ثم أسسوا فى حيفا سنة ١٩٠٨ أول مستعمرة لهم . وأخذ سيل الهجرة يغمر البلاد منذ سنة ١٨٨٢ بزيادة مضطردة الى سنة ١٩١٤ ثم هبط العدد فى سنى الحرب ، ثم عاد بعد الحرب الى زيادة لم يسبق لها مثيل وذلك نظرا لوعد بلفور وللاضطهادات التى وقعت على اليهود فى ألمانيا وغيرها

أما وعد بلفور فقد تم بناء على رسالة من هذا اللورد الى لورد روتشلد فى سنة ١٩١٧ صدرت بمصادقة الحلفاء ، وبموجب هذه المصادقة وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطانى رسميا منذ ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٠ لتكون بريطانيا مسؤلة دوليا عن تنفيذ وعد بلفور وتحقيق أمانى اليهود القومية

لقد منح العرب وعودا مماثلة ، فلم يكونوا ليثوروا ثورتهم الدموية الحاضرة والثورات التى سبقتها لولا تدفق سيل الهجرة وضياع أراضى العرب تدريجيا بامتلاك اليهود لها بأموالهم المغرية وبالاكثر لولا سياسة العداء التى بثتها الدول الدكتاتورية ضد انجلترا فى فلسطين وأوربا والمستعمرات التى توغر صدرها

أما اضطهاد اليهود فى ألمانيا فقد كان الباعث الاول عليه هو البرنامج القومى الذى أراد هتلر أن ينفذه بسياسة اليد الحديدية وبروح لا يعرف التسامح كما بين فى كتابه « كفاحى » وقد كان كذلك برنامج رمسيس الثانى وغيره ، ولكن هتلر بنى اضطهاده لليهود على اتهامات كثيرة أهمها مسألة الدم والعنصرية . وهتلر يعرف قبل غيره خطأ هذه النظرية العنصرية لأن الشعوب — كما يقول ه . ج . ويلز فى كتابه مختصر تاريخ العالم — كالسحب تفترق وتلتئم

وتختلط ولبست كالأغصان التى تخرج من الجذع ولا تعود فتلاق . ولكن هتلر أراد أن يحمس شعبه ويجعله يعتقد بأن الشعب المفرز لخلاص العالم (ولعله أخذ فكرة «شعب الله» عن اليهود الذى يضطهدهم وحورها لخدمة ألمانيا «فوق الجميع» كما خدمت اليهود وقوت عصبيتهم)

وهاك مثل لدعاية الهرجوبلزوزير دعاية الريخ مما جاء فى كتاب «أصول جديدة فى بحث الاجناس» «العالم» هرمان جوسن الألمانى : « ثم حركة المضغ عند الآريين والفم مغلق أما عند غير الآريين فانها تتبع بصوت مسموع كما يفعل الحيوان . ولما كان للون اثره ، فان الاحمرار الذى صبغت به الطبيعة شفاه الآريين جعل لها القدرة على التقبيل والتودد . أما شفاه غير الآرى الغليظة مضافة إلى أنف ذى فتحات واسعة فهى عنوان الشهوة والميل إلى الاستمتاع البهيمى ... !! »

وثمة نوع آخر من الدعاية أشر فعلا من الأول ، وهو ما جاء فى احد منشورات جوبلز نفسه « ألا تعرف أيها الرفيق الالمانى أن اليهودى .... ويهزأ بشرفك ، ويحتقر معتقداتك ، ويحطم كنيستك ، ويفسد ثقافتك ، ويلوث شرفك ... »

أية جريمة فى حق العلم والانسانية والعمران أكبر من هذه الترهات المسبوكة تفعل فعلها السريع الجرىء فى عقول السذج وهم سواد كل شعب ؟ بل يعرفنا جستاف لوبون أن عدوى الجوع تنتقل كالطاعون الى غير السذج فينقلبون وحوشا ومجانين يأتون ما يأتيه خصومهم اليوم لا سيا بعد جريمة جرنسبان الشاب اليهودى الطائش الذى اغتال السكرتير الثانى للمفوضية الالمانية فى باريس . هو ذا اليهود يهيمون على وجوههم مطرودين محتقرين مسلوبين مرتبكين ومربكين غيرهم من الدول الديموقراطية التى ما كانت لتفعل؟ أقل من ألمانيا وايطاليا لو صحت تلك الجرائم والاتهامات التى يوصم بها اليهود .

ان مشكلة المشاكل اليوم هى مشكلة أيوائهم وأسكانهم واسترداد أموالهم ، فان التسامح أثبت أنهم كانوا دائما وأبدا سريعين الى لم شعث أنفسهم فالاستقرار فمزاحمة أصحاب البلاد . ويرجع تفوقهم هذا إلى عدة أسباب لعل أحدها هذا الذكاء الوراثى الغير العادى الذى أثبتته لهم مقاييس الذكاء المعروفة وقد قام ديفز وهيور وغيرهما بأبحاث طويلة فى هذا الصدد نلخص نتائجها فيما يأتى : —

«إن الشىء المدهش الذى يلاحظ فى هذه الاختبارات (مقاييس الذكاء) التى أجريت هو الارتفاع

العام لذكاء التلاميذ اليهود سواء كانوا بنين أو بنات .»

« اليهود فى معظم الحالات أكثر ذكاء من غيرهم (فى انجلترا وأمريكا) أو على الاقل يتعادلون مع غير اليهود المتساويين فى المعيشة والظروف والاحوال الاقتصادية والاجتماعية »

« اليهود فى معظم الحالات أكثر ذكاء من غيرهم لا سيما من الطليان أو من شعوب وسط أو شرق أوربا »

« وجدت اختلافات كثيرة وفروق كبيرة فى الذكاء بين اليهود المهاجرين من أقطار أوربا المختلفة وذلك ناتج عن عدم تشابه المعيشة والظروف والاحوال الاجتماعية والاقتصادية »

« طالب الكلية اليهودى أكثر ذكاء من غير اليهودى بشكل واضح »

« توزيع الذكاء العام بين اليهود أكثر تقاربا وتجانسا فيه عند غيرهم »

وهذا يعنى انهم متجانسون شعبا وثقافة وظروفا وهذه ميزة يكتسبها الزمن يهود كل اقليم على حدة ، فاذا حدثت هجرة وتمازج بين بعضهم ظهر الاختلاف بصورة جلية ، كما أثبتت المقاييس — ويعنى هذا من الجهة الاخرى أن اليهود حينما يهاجرون الى جهة ما يحسنون التكيف لها — وهذا ما يتضمن الذكاء بحسب تعريف أحد أئمة التربية — ولعل امكان هذا التكيف طبقا للظروف سبب من أسباب خلودهم رغم الاضطهادات وعوامل الاغلال الكثيرة التى تتبعها ، وقد كان يتوقع من هذا التكيف ضياع شخصيتهم واندماجها فى الشخصيات الجديدة ولكن حال دون وقوع ذلك عصبيتهم القوية مضافة الى ثقافتهم التاريخية التى ظلت محافظة على سمتها التقليدية رغم اندماجها بثقافات الامم التى يتزوجون بها بالمهاجرة وأن كان هذا الامتزاج بحكم عصبيتهم القوية بطيئا ومحدودا ، وقد زاد هذه العصبية قوة على مر الزمن هذه الاضطهادات المتوالية التى تقع عليهم

ويرجع تفوق اليهود أيضا الى أتقانهم فنون المال فانهم قد وجهوا بالاختيار ومن جراء كثرة المحن ان المال — بحسب تعبير ستيفنى زفيج — هو واسطة من وسائط التحرير والاستقلال وأ كثرها مرونة ، وأنه خير اداة للتغلب على المحن والارزاء السياسية ، وقد استطاعوا أن يكسبوا به ولاء بعض الدول السياسية ودول المال ، وقد لجأوا الى الاعمال المالية لانهم أقصوا تدريجيا عن الاعمال المدنية الاخرى كما عن الوظائف الحكومية المهمة ، ومع ذلك فقد نبغ عدد كبير منهم فى

السياسة والعلم والفلسفة والادب أمثال دزرائيلي وصموئيل هور وهوبليشا ودي بونو ونوبيل ومتاهل وزونبرج وأكلر واينشتين وفرويد وبرجسون وكثير غيرهم ، وقد أضافوا إلى ذخائر الانسانية ما لا يمكن أن ينكر ، وأن أنكره هتلر وأشياعه ، اذلا يخفى أن توراتهم وادابهم أصل حل مبادىء اليوم الدينية والأخلاقية ، وانهم بكثرة هجراتهم وسفراتهم التجارية ساعدوا على تلقح مدنيات كثيرة بعضها وايجاد حركات نهضات علمية ودينية ما زالت تتم على أيديهم

انهم اليوم يؤلفون نحو ١ فى المائة من سكان الارض أى ما يبلغ ١٧ مليون نسمة تؤلف بين قلوبهم ثقافة واحدة (على سبيل التعميم) وأمانى واحدة وآلام مشتركة لا يعوزها لتكون منهم أمة أو وحدة سياسية واحدة الا حدود أرضية معترف بها ، ولهذا تطلعوا فى القرن الأخير إلى فلسطين القديمة أرض الأجداد ليحققوا بها هذا الشرط الأخير وليكونوا منها مركزا للدفاع عن مصالحهم فى الخارج وملجأ للمنبوذين منهم فى العالم

ان العالم أجمع اليوم يتطلع إلى هذا «اليهودى التائه» ليرى أين يصل به الترحال ، ولعل أكثر من فى العالم اضطرابا وترقبا هو هذا العربى المتنقل الذى يريد أيضا أن يستقر ، ويطمئن على وطنه ازاء الهجرة اليهودية

نحن والخنازير

المتأمل للشكاسة الانسانية التي تبـدو هذه الايام في أعلى مستواها لا يتمالك من الشعور بأن الحكمة الانسانية المزعومة هي أكذوبة لا أصل لها في طبيعة عقولنا . ويبدو من مقال في مجلة اللانسست الطبية ان هناك ما يؤيد القول بأن الأصل في العقل البشري هو البلادة وليس الذكاء . فقد كتب أحدهم مقالا في هذه المجلة قال فيه ان هناك ما يؤيد القول بأن الانسان لم ينحدر من أرومة قردية بل انحدر من أرومة خنزيرية . وذلك لأن وجوه المشابهة بينه وبين الخنازير كثيرة منها :

١ — إن منبت الأسنان في الخنزير والانسان واحد، وهما من هذه الناحية قريبان جدا. وللاسنان قيمة في التطور لا تنكر

٢ — كـذلك حلمات الثدى في الانسان والخنزير . والزيادة التي تحدث في الانسان حين تظهر فيـه حلمات زائدة تدل على القرابة بينهما

٣ — الخنزير أماط أو قليل الشعر كـالانسان

٤ — الخنزير يعيش في جميع الأقاليم والقارات في الجبال والسهول وفي البرد والحر

٥ — الخنزير يختزل الذنب مثل الانسان أو يقاربه

٦ — الخنزير — مثل الانسان — قد يكون أبيض أو أحمر أو اسود وجميع هذه السلالات تتوالد كما في الحال هي الانسان

وقد كان بعض الناس يكره أن يقال ان الانسان والقرد من أصل واحد . فماذا يقولون عن هذه القرابة الجديدة ؟

سقوط اخناتون - وعصر التقوى الفردية

عن كتاب «فجر الضمير» للمصرلوجي الامريكي الكبير برستد

للآنسة ايريس حبيب المصري

هو ذا إذن شعب عظيم تدفقت حياته وقامت مدنيته دون عائق مدى أجيال . وفجأة وعلى الرغم من تجمع التقاليد وتكاتفها حتى صارت قوة هائلة تمكن فرد واحد من أن يوقف تيارها الجارف — فانتهكت حرمة معابدها وأغلقت هياكلها التي قدستها ذكريات الآلاف من السنين وطرد الكهنة وصودرت الأموال الموقوفة على خدمة المعابد أملا في محو النظام القديم . ففي كل مكان حيث كان القوم يتحركون بفعل الغرائز التي رسخت فيهم بعد أجيال لا عدد لها وتحت سلطان التقاليد والعادات التي توارثوها عن هذه الاجيال التي لا تحصى كان الناس يندفعون بحكم هذه الغرائز وتلك العادات صوب هياكلهم المقدسة فيجدونها مغلقة ويقفون أمامها حيارى صامتين مبهوتين . وفي أيام الاعياد التي قدسها هي أيضا مرور القرون والاجيال كانت التسابيح وأصوات الفرح يرن صداها داخل القاعات المقدسة من حناجر المئات بل الآلاف ، ولكن هذه الأصوات خفتت بغتة وأصبحت أماكنها قاعا صفصفا ، وفي كل يوم كانت الجموع تتبع نعوش الموتى متجهة نحو الغرب وكلها أمل في أن يرضى أوزوريس عن الفقيد الراحل فيعزيه ويقبله اليه في حقوله ولكنهم حرموا حتى من ذلك المعزى الاكبر ولم يجرؤ أحد حتى على التلفظ باسمه ! وحتى القسم الذى اعتاد الناس أن يقسموه أمام القضاة في دور الحكم تغير فصار لا يشمل الا اسم أتون . فصار مثلهم يومذاك كما لو أن انسان القرن العشرين قد أكره على أن يعبد ذاتا مجهولة منه ونكرة غير معروفة وأن يقسم كذلك بما يجهل .

ولا بد ان اللعنات الصادرة من جموع الكهنة الغاضبين الحانقين كانت تمتزج باللعنات الصادرة

من قلوب التجار المتذمرين : فالخبازون الذين كانوا يرتزقون من بيع الفطائر أيام الأعياد كسدت تجارتهم ، والصناع الذين كانوا يفتنون فى عمل التعاويذ والطلاسم ويربحون من وراء ذلك هذا المال الطائل انقطع معين رزقهم ، والمثالون الذين كانوا ينحتون العدد العديد من تماثيل أوزوريس لتوضع فى القبور مع الموتى بارت صناعتهم ، والكتبة الذين كانوا يقضون حياتهم فى نسخ كتاب الموتى طوردوا وضاقت بهم سبل العيش ، أولئك التجار جميعا الذين فقدوا وسائل الارتزاق انضموا بطبيعة الحال إلى جماعة الكهنة ، وشاركوهم فى غضبهم وحنقهم على الشعب بجميع طبقاته سواء فى ذلك الحجاج الذين كانوا يفدون على أبيدوس (مقر الاله أوزوريس) سنويا ، أو الاطباء الذين كانوا يستعملون السحر والشعوذة ، أو الرعاة الذين لم يعودوا يجرأون على وضع رغيف من الخبز وقدح من الماء تحت احدى الأشجار ترضية لالهة الشجرة حتى تحميهم وتحمى عائلاتهم ، أو الفلاحون الذين صاروا يخافون أن يضعوا تمثالا لاوزوريس وسط حقولهم دفعا للمجاعة والقحط ، أو الامهات اللواتى حرم عليهن أن يتلفظن بأسماء الآلهة الذين كانوا فى نظرهن حماة الاطفال فى الظلام . وفى وسط البلاد بأسرها التى أظلمت وغشيتها سحابة من الحنق والنفور كان اخناتون — ذلك الملك العجيب — ونفر قليل ممن أدركوا تعاليمه وتفهموها واقتبلوها يقومون بشعائر العبادة للنور بقلوب مطمئنة غير مدركين الظلمة القاتمة التى غشيت كل من عداهم والتى كانت تزداد حلكة يوما بعد يوم

فلو أردنا أن نرسم صورة كاملة لعصر اخناتون لوجدنا الظاهرة الغالبة فيها هى التضجر العام والمقاومة العنيفة الخطرة من جانب الكهنة (ولو أن هذه المقاومة كانت سرية) ونزوع رجال الجيش إلى التمرد على ارادة الملك لفرط غضبهم من مناداته بالسلام — وحين نرى ما كان يبذله اخناتون من المجهود الجبارة رغم هذا الوسط الناقم عليه ندرك لاول مرة قوة الشخصية الفردية التى كانت لذلك القائد الفكرى العظيم الذى كان أول زعيم للفكر فى تاريخ البشرية . فقد كان حكمه أول محاولة للحكم عن طريق الفكر بغض النظر عن أحوال الشعب وعن رضاه . يقول ماتيو ارنولد عن الثورة الفرنسية : « ولكن ذلك الجنون الذى استولى على العقول ودفعها إلى العمل على تطبيق الآراء والافكار على السياسة تطبيقا عمليا سريعا كان فيه الخطر كل الخطر .... فالافكار كنز لا يثمن ولا يستطيع المرء أن يشبع منه ، أما اخراج هذه الافكار فجأة من عالم التأمل والنظر إلى عالم

السياسة العملية وممارستها واثارة العالم وبمجاهدته بالعنف فى سبيلها فهذا شىء آخر » ولكن اخناتون لم تكن قد سبقته ثورة فرنسية يستطيع الاعتبار بها والاستفادة من تعاليمها — بل كان هو نفسه أول ثائر فى العالم . وكان يعتقد تمام الاعتقاد بأنه يستطيع أن يصوغ العالم فى قالب جديد فيحول الدين والفكر والفن والحياة نفسها من مجراها ويوجهها إلى الوجهة التى يراها بمحض ارادته القوية وبشدة التمسك بالغرض الذى وضعه نصب عينيه

وهكذا قامت مدينة أخيتاتون الجميلة — كسراب خلب جذاب وسط صحراء قاحلة مجدبة ، أو كرؤيا من الآمال والاحلام تولدت فى عقل نبى أو تناسى ان الماضى أمتن من أن يستطاع القضاء عليه . والعجب هو أن يقوم مثل هـــذا الرجل فى مصر حيث يبدو انه هو وحده الذى أوتى قوة النسيان . ولم يكن العالم المحيط بمصر والخاضع لها أكثر استعدادا منها الى قبول مثل هذه الأفكار العالمية

ولم تبد هـذه الحقيقة المرة ولا هول الخطر الذى كان محدقا باخناتون وباعوانه الا بعـد موته بسنين من وصف كتبه توتنخ أمون قال : « لقد خربت المعابد الخاصة بجميع الالهة والالهات من جزيرة الفيلة حتى الدلتا . وهجرت الأماكن المقدسة فأصابها البلى . وصارت هياكلهم كلا شىء . . وكانت البلاد فى أقسى الحالات — أما الالهة فقـد تخلوا عنها . فان ذهب الجند الى سوريا لتوسيع حدود مصر أصابهم الفشل ، وان ابتهل انسان الى اله ليعينه لم يجد منه الا صدا واعراضا ... كذلك ان توجه بطلب الى إلهة لم تلب طلبه فكأنما قد صمت آذانهم عن الاستماع . » وبينما مصر تعانى هذا كله كان اتباع اخناتون يصلون ليدوم ملكه « الى أن تصير البجعة سوداء ويشيب الغراب ، والى ان تقوم الجبال وتزحف من مكانها وتجرى المياه الى فوق ! »

ولا يزال سقوط الثائر العظيم سرا من الاسرار يحجبه ستار كثيف لم يتمكن أحد الى الان من رفع أى طرف منه . وكانت النتيجة المباشرة لهـذا السقوط ان عادت لآمون وبقية الالهه سطوتهم القديمة وان أرغم الكهنة الملك الشاب الضعيف (توتنخ امون) على الاستسلام لارادتهم — فعاد النظام القـديم . وانا لنجـد فى التقرير الذى وضعه توتنخ أمون عن نفسه صورة شيقة لقادة عصره وطريقة تفكيرهم . فهو يقول عن نفسه بانه « الحاكم العادل الذى صنع العظائم لابى الالهة أمون ، فرمم

له هياكله الخربة ومن أجله طرد الاثم خارج البلدين (مصر) واعاد البر (ماآت) اليها ،، وجعل الشر عارا فى البلاد كما كان الحال منذ القديم . » وهكذا كان سقوط اخناتون فى نظر خصومه انتصارا للنظام القديم (ماآت) وطردا للاثم .

وهكذا دنست ذكرى أول المؤمنين بالمثل العليا وإمام أصحاب الاحلام الكريمة حتى ان اسمه لا يرد بالمرة فى القوائم المنحوتة على الاثار والتى نقشت عليها أسماء ملوك مصر . وحين اضطر المؤرخون فى العصور التالية الى ذكر عصره كانوا يصفونه بانه « مجرم أخيتاتون » . وكان من الطبيعى أن يتهلل كهنة أمون باستعادة قوتهم . ومما يعبر عن عظيم ابتهاجهم تلك التسبحة التى خلفوها لنا والتى ترجع الى ذلك العصر وهم يقولون فيها :

« انك تجد من يخطىء اليك
(فلا يستطيع الهرب من عدالك)
فويل لمن يقاومك !
ان مدينتك باقية
اما من يقاومك فيسقط .

• • •

ان من لا يعرفك يا أمون تغرب شمسه !
اما من يعرفك فهو يشرق .
ومن يقاومك هيكله فى ظلام
ولكن الارض كلها فى النور .

ويبدو الحقد والانتقام فى تلك الكلمة اللاذعة : « ان من لا يعرفك (والمقصود به اخناتون) تغرب شمسه يا أمون! » ثم فى « ومن قاومك فهيكله فى ظلام . » اذ كان هذا ماقد حل بهيكل الاله الشمس فى تل العمارنة — ذلك الهيكل الذى صوره لنا فنانو اخناتون مغمورا بفيض من النور وقد تألق أتن فوقه وضمه بين أياديه المتدفقة الخير !

وما بقى للان من ذلك المعبد الذى يرمز الى النور الأزلى ان هو الا اجزاء بسيطة من الاساس !

ترى هل تخلف عنه شيء آخر ؟ أيمكن ان تكون الثورة الاولى للفكر البشرى قد مرت هكذا دون ان تترك أثرا وراءها ؟ لقد كانت ثورة اخناتون حادة عنيفة بحيث لا يمكن ان تحدث تغييرا دائما او ان يكون لها أثر طويل المدى ، وكان الفن الذى انتجته أرق وأسمى من ان يدوم . فان (استوديوهات) العمارنة قد دلتنا بوضوح على افتنان المثالين الملكيين وقوة ابتكارهم فأسبغ فنهم طابعه على العصر الذى تلاه وذلك على الرغم من ان النحت والتصوير لم ينالا ما نالاه من حرية فى اى عصر اخر ولم يعبرا قط عن ذلك « الحق » غير الملموس الذى نفخه اخناتون فى فنانيه . أما فى عالم المعنويات فان البر (او الحق « مآت ») كان قد بلغ الذروة فى أيامه . وليس من شك فى ان دقة احساس اخناتون بالجمال والبر خلال الطبيعة (وهى عمل الله) لم تمح بالمرة . ولا يسعنا الا ان نعتقد بان التسبحة التى كتبها ظلت متداولة ولو إلى حين وبأن كاتب المزمور المئة والرابع كان مطلعا عليها وذلك بعد عصر أخناتون بقرون . اذن فروح العبادة التى أوجدتها عقيدة أتن لم تتلاش تماما — وسنرى ان لها آثارا أخر على الرغم من ان العنف الذى استعمله اخناتون لنشر عبادته كان لابد ان يثير روح الانتقام الشديد المتواصل

فلا عجب اذن اذا رأينا ان العاطفة حين هبت كادت تمحو كل أثر لذلك الحالم الاول . وليس الآن لدينا من المخلفات التى توقفنا على سيرته وأخباره سوى أطلال مدينته — اطلال بائدة هى المعقل الوحيد للأحلام الكريمة والمثل العليا التى لم تخطر على بال شعب قديم الا بعد ذلك بأجيال حين اتحدت صفوف قبائل الاسرائيليين وصارت أمة واحدة أنجبت بالأنبياء ومرتلى المزامير ليحملوا الشعلة المقدسة التى لمح قبسها المفكرون وأصحاب المثل العليا من المصريين فأوقدوها وحملوها خلال عصور طويلة

وقد كان هم اخناتون الوحيد العمل على بث دعوته واتجه اهتمامه كله الى ثورته فقضى حياته متأملا حالما فى قصر الشمس بتل العمارنة بينما تجمعت جموع الحيثيين واستولت على مستعمرات مصر فى اسيا . فتقوض نفوذ الاسرة الثامنة عشرة هناك كما تقوض فى مصر تحت تأثير الكهنة والحزب الحربى — تلك الاسرة الثامنة عشرة التى سادت الشرق القديم مدى مائتين وثلاثين سنة . ومع ذلك فقد بدأ فى مصر عصر جديد بسقوط اخناتون — فقد ظلت عظمتها الخارجية وحضارتها المنظمة

العريقة فى القدم محتفظين بمكانها الرفيع ولكن فى جزالة العبارات وفخامة الالفاظ التى جرت عليها التقاليد . اما الحقيقة فكانت قد تضاءلت فى اواخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وكان صدى أتون لا يزال يتردد حتى فى الالفاظ التى كان يتحدث بها اعداء اخناتون . فان التسبحة التى اقتطفت آنفا والتى كتبها كهنة أمون لها صلة بالمعتقد الشمسى القديم وفيها يلحظ القارىء عناية رع الأبوية اذ يتغنى الكهنة « بالراعى الصالح » و « المرشد » — وهى صفات تغنى بها المصلحون الاجتماعيون منذ عهد الاقطاع . اذن فعلى الرغم من رجوع سطوة أمون وكهنته كانت الآراء والافكار التى بذرها اخناتون بثورته قد ثبتت ولم يكن ممكنا المغالاة فى سبيلها كما فعل اخناتون فعاد الشعب الى تعدد الآلهة ولكنه صار يؤمن باله شفوق يعنى بهم عناية أبوية . لهذا ليس بمستغرب ان نقرأ تلك التسبحة :



سيد الحق ابو الآلهة

خالق الناس والحيوان ،

سيد الكائنات

منبت شجرة الحياة

زارع الخضراوات حفظا لحياة البهائم

ولا يتردد كاتب هذه التسبحة فى ان يدعو الهه رع (او أتوم*) مما يظهر لنا ان حركة اخناتون قد طبعت التفكير بطابعها وقوت نفوذ رع . وتتضمن التسبحة عينها هذه الكلمات :

سلام لك يارع سيد الكائنات

. . .

الذى أمر فخلقت الآلهة

أتوم خالق الناس

الذى صور اشكالهم

وهيأ لهم اسباب الرزق ،

---

* أتوم اسم لاله الشمس شاع فى هليوبوليس (مدينة الشمس) فى اقدم العصور

الذى اوجد ما بينهم من اختلافات .
سامع صلوات الاسرى
راحم اولئك الذين يدعونه
مخلص المجهول من المتكبر
حامى الضعيف من القوى .
سيد المرنة ، كلامه أمر ملكى
ان النيل يفيض من محبته
رب العذوبة ، عظيم فى المحبة
الذى يحيا الناس حين يشرق عليهم

وحتى عبارات التوحيد تتردد فى هذه التسبحة ، فانه فى الوقت الذى تشير فيه التسبحة الى الالهة المتعددة يقول كاتبها :

عظيم التطهير خلق الكائنات
الواحد الاوحد مكون الموجودات ،
عيناه مصدر حياة الناس
ومن فمه تدفقت الآلهة
خالق النبات طعاما للحيوان
وشجرة الحياة طعاما للناس ،
الذى يهيىء الطعام للسمك فى البحر
وللطيور التى تطير فى الفضاء ،
نافخ الحياة لما فى البيضة
ومحرك يويضات الديدان
الذى هيأ طعاما حتى للذباب
وكذلك للديدان والحشرات

الذى يسد حاجات الفئران فى جحورها
ويحفظ حياة العصافير
سلام لك يامن خلقت هذه كلها
ايها الاله الاوحد ذى الايادى الكثيرة
ايها النائم المستيقظ فى آن واحد
بينما البشر كلهم نيام ،
مدبر الخير لكل قطعانك

• • •

سلام لك — تقول القطعان
التسبحة لك — تقول الشعوب
الى اقصى السموات والى منتهى الارض
والى اعمق اعماق البحار

وفى تسبحة اخرى لاوزوريس ترجم الى المصرعينه توجد هذه الكلمات « انت الاب والام لكل الناس وهم يعيشون بأنفاسك » واننا لنلمس روح التسامح والعناية فى كل هذه التسابيح .. روحا بدت فى مصر منذ عهد الاقطاع . فالعناية «بالخجول» ضد «المتكبر» و«الحكم الملكى» و «المعرفة» — كل هذه الصفات التى هى من صفات الفرعون قد ظهرت فيما كتب المصلحون الاجتماعيون امثال ايبوور . أما وصف الاله بانه ابو الخلائق وأمها فمن تعاليم الايمان بأثره . فبينما تحتفظ هذه التسابيح بفكرة العالمية والاستخفاف بالفروق الجنسية والرؤيا الواسعة الآفاق التى نادى بها اخناتون فانها تظهر لنا شيئا آخر ألا وهو الثقة الفردية فى خير الله وحسن تدبيره والتطلع الشخصى نحوه مما يعلن لذاعن فاتحة عصر جديد من الدين الشخصى

فاننا حين نرقب القرنين الثالث عشر والثانى عشر قبل الميلاد — أى القرنين التاليين لحكم اخناتون نجد ان ثقة العابد بعناية الاله الشمس ويقينه بالاهتمام الالهى بكل الخلائق حتى أحقرها نجد ان هذه الثقة قد تحولت الى روح من التقوى العميقة وادراك حق لصلة الله بالناس صلة فردية

وانا لنلمس بذور هذه الروح وذلك الادراك فى تلك الكلمة التى قام بها اخناتون .. «فانك لاتزال فى قلبى »

فأثر الحركة الدينية التى قام بهـا اخناتون والتعاليم التى نادى بها مصلحو العهد الاقطاعى فى سبيل العدل الاجتماعى قد سمت الى الذروة فنتجت عنها أعمق التعبيرات لأسس ما وصلت اليه الروح الدينية فى مصر . وبعـد ان كانت هذه العقيدة بالصلة الروحية الفردية بين العابد وخالقه وقفا على النخبة القليلة صارت بعد مضى أجيال وبعد تطور تدريجى عقيدة عامة يدين بها الجميع

وكانت النتيجة لهذا التطور ان بزغ بين الجماهير فجر جديد من التقوى الفردية والتطلع صوب الله . وكان فجرا جديدا حقـا لانه كغيره من التطورات الدينية والاجتماعية فى مصر القديمة كان أول فجر من نوعه فى تاريخ البشرية . فلا يرى له مثيل فى غير طيبة . وانه لمن الشيق جدا أن نتمكن بعد مرور آلاف السنين من أن نقف على نفسية الشعب ونلمس ما كان يختلج فى أعماق قلوب العامة : العمال والزراع ، النجارين والكتبة ، الرجال والنساء الذين كانوا هم منتجى ثروة مصر المادية وعلى أكتافهم قامت الامبراطورية المصرية ، فنجد ان أحد الكتبة نسخ تسبحة على قبره تتضمن الأبيات الآتية :

الآتى الى من يصمت

مخلص الفقير

معطى أنفاس الحياة لكل من يحب

. . . .

مد لى يدك

خلصنى وأشرق على

لأنك أنت واهب الكفاف .

أنت الاله الأوحد ولا يوجد سواك

انت رع الذى يشرق فى السماء ،

أتوم خالق الناس

الذى يستجيب الى صلوات من يدعوه ،
ويخلص الانسان ممن يتكبر عليه ،
الذى يأتى بالنيل لمن هو بينهم ،
قائد الجميع .
حين يشرق يحيا الناس ،
وتهلل قلوبهم حين يرونه ،
معطى أنفاس الحياة لمن فى البيضة ،
حافظ حياة الناس والطيور
الذى يسد حاجة الفئران فى جحورها .
والحشرات والديدان كذلك .

وإلى هذا الاله الرحوم الذى يعنى حتى بالطيور والحشرات كان يتجه رجال طيبة يبثونه أتراحهم ومشاغلهم واقتبس من رفقه بهم وعنايته بشؤونهم . فقد أقام رسام حجراً فى مقبرته نقش عليه قصة ابنه وكيف أن أمون رأف به تخلصه من مرض اعتراه — فأمون صار له « الاله المهوب ، الذى يسمع الصلوات ويأتى لنجدة الفقير البائس ويهب أنفاس الحياة لمن أقعدته الأمراض » ثم يسرد قصة مراحم أمون هكذا :

التسبحة لأمون !
انى أرتل باسمك
وأسبحك .
أرفع تسبحتى الى أعلى السماء
وإلى أقصى الارض .
أتحدث بعجائبك
للمسافر فوق النهر
شمالا وجنوبا

اخشه !

تحدث بخشيته لابنك ولابنتك

للكبير والصغير ،

أخبر بعجائبه الاجيال الآتية

التى لم تولد بعد .

قصها على الأسماك فى البحر

وعلى الطيور فى السماء .

كررها على مسامع من يعرفها

ومن يجهلها .

اخشه .

أنت يا أمون سيد السكون

الذى يأتى حين يسمع صراخ المسكين

حين اصرخ نحوك فى ضيقتى

فحينئذ تأتى وتخلصنى

وتهب أنفاس الحياة لمن حنى الألم ظهره

وتخلصنى أنا المقيد فى الأسر .

حين يصرخ الناس نحوك

فأنت من يأتى اليهم من بعيد . »

« نبرى رسام لآمون فى المقبرة ، ابن باى رسام لآمون فى المقبرة ، قد أقام هذا الحجر ونقشه لسيده ، أمون سيد طيبة ، الذى يأتى لنجدة الفقير ، فيغنى لاسمه ويسبحه لعظم بهائه ، ويرفع اليه الصلوات أمامه وأمام البلاد بأسرها من أجل الرسام ناخت أمون* حين كان ملقى على فراش الموت فى قبضة أمون بسبب خطاياه .

* ابن نبرى الذى خلص أمون حياته

« لقد وجدت ان اله الالهة جاء كريح الشمال يسبقه عبيق الازهار ليخلص الرسام ناخت أمون ابن نبرى الرسام لامون من زوجته بيشيد ،

« لقد قال : مع ان العبد من عادته ان يخطىء فان السيد من عادته ان يتمم . وسيد طيبة لايقضى طيلة يومه غاضبا ، فان غضب فلحظة تمر . . ثم يعود فينظر الينا بنعمته ويأتى لنا إلهنا بالحياة ،

« قال سأقيم هذا الحجر لاسمك وانقش هذه التسبحة عليها ان انت خلصت حياة الرسام ناخت أمون ! هكذا قلت لك وانت أصغيت لي . والآن هوذا انفذ ما وعدت به · لانك انت سيد من يدعوك وانت من يرضى بالبر وسيد طيبة .

« عملت بمعرفة الرسام نبرى وابنه خاى . »

وهكذا صار الاله الشمس أو المغتصب أمون بطل المتضايقين « الذى يسمع الابتهالات ويصغى الى صلاة من يصرخ نحوه ويأتى عند سماع صوت من يدعوه » « الاله المحب ، سامع الصلوات ، مغيث الفقير معطى القوة للمتعب . » لذلك فالام الثكلى التى اهلها ابنها « ترفع يديها نحو الاله فيسمع صراخها . » اذن فقد صار العدل الاجتماعى الذى نشأت فكرته فى الدولة الوسطى حقا يطالب به كل انسان الهه الذى صار هو نفسه القاضى العادل الذى لا يقبل الرشوة ، رافع الحقير وحامى الفقير ، الذى لا يمد يده لغنى . » لذلك يصلى الفقير قائلا : « يا أمون أصغ لمن يقف بمفرده فى قاعة العدل ، الذى هو فقير وخصمه غنى . » فالمحكمة تستبد به طالبة « الذهب والفضة للكتبه والملابس للخدمة . ولكن أمون يحول نفسه آخذ شكل الوزير حتى يسبب انتصار الفقير ن الفقير على حق وهو يتغلب على الغنى . ايها الربان الذى يعرف الميناء ، أمون — دفة السفينة ، معطى الخبز للمحروم ، ملكا اولا ، ياإله البدء ، ياوزير الرجل الفقير ، الذى لا يحابى ولا يحتاج الى شهود أمون رع قاضى الارض باصبعه ، الذى تملأ كلماته القلب ، الذى يعيد الخاطىء النار والعاطل مكانه فى الغرب . » (مملكة اوزوريس) والغنى والفقير على السواء عرضة لغضب الاله ان أخطأوا . فمن م يقسم ويحنث بقسمه يستنزل غضب الاله وهو يضربه بالمرض او العمى — ولا يمكن للخاطىء ان يتخلص من مثل هذا الجزاء ما لم يتب عن خطاياه طالبا المغفرة والصفح وهو نادم متذلل .

فهنا نجد ان الضمير قد تحرر تماما لاول مرة . اذ ان الخاطىء يقر بجهله وبانه عرضة للسقوط: « ايهـا الاله الأوحد ، ايها الاله الشمس الذى لا شبيه له ، حامى الملايين ومخلص مئات الالاف الذى يلبي نداء من يستنجد به ، سيد هليوبوليس ، لا تعاقبنى لاجل كثرة ذنوبى — فانا اجهل حتى جسدى ، انا انسان لا فهم له — أتبع أهوائى اليوم كله كما يسير الثور صوب طعامه . » وانا لنلحظ على الفور ما بين هذه الكلمات وبين كتاب الموتى من تباين — ففى كتاب الموتى ينفى المرء عن نفسه كل خطية ويدعى البراءة الكاملة من كل عيب . اما الان فتوجد صلة روحية داخلية بين الانسان المعترف بذنبه وبعدم استحقاقه للرحمة وبين الله خالقه . « تعال الى يارع هارا كت لتكون قائدى . » وكما يحب الاسرائيلى اورشليم مدينة الله منذ القدم فهكذا المصرى « فى القرن الثالث عشر او الثانى عشر » يمتد ببصره صوب هليوبوليس حيث بزغ ايمان اجداده منذ اكثر من ثلاثة الاف سنة . « ان قلبي ليتجه نحو هليوبوليس . ان قلبي يفرح وصدرى ينشرح : طلباتى تسمع وصلواتى اليومية وتسبحاتى بالليل ، ابتهالاتى تتردد فى فى لانها سمعت اليوم . »

وفى التسابيح القديمة التى تتألف من وصف خارجى أو اقتباس للاساطير أو اشارة الى حوادث فيها والتى تتعلق بامور كلها خارجية كان يستطيع كل انسان ان يردد نفس الصلاة ، اما الآن فقد أصبحت الصلاة استملاء للاختبار النفسى الفردى وتعبيرا للاتصال الشخصى بالله — اتصالا من شأنه ان يدرك العابد الهه ويرى فيه صورة الراعى الذى يعنى بقطيعه — « يا أمون ، أيها الراعى الذى يقود خرافه فى الصباح ويسير بالمتألم الى المرعى ، وكما ان الراعى يهدى رعيته الى المراعى الخصبة فكذلك أنت يا أمون تهدى المتألمين الى حيث طعامهم ، لان أمون هو راع يرعى من يتكل عليه . يا أمون رع لقد أحببتك وملأت قلبي بك . انك تنقذنى من فم الناس حين يتكلمون . » وبالطبع لا تعوزهم الوسائل المادية الخارجية لتقوية هذه الصلة الروحية بينهم وبين الههم . لذلك ينصح الحكيم كل انسان قائلا : عيد عيد الملك واذكر مواسمه ، لان الاله يغضبه من يتغافل عن حقوقه . » ومع ذلك لحق الحكماء الذين اعتادوا التفريط شيئا ما فى العادات الموروثة والذين ينصحون بحفظ المظاهر الخارجية يرون بان أبعد الاعمال أثرا للزلفى الى الاله والحصول على رضاه هو الانصراف الى التأمل فى صمت وسكون والصلة الروحية الداخلية : « لا تكن كثير الكلام لانك فى الصمت ستصيب

الخير . اما في المكان المقدس فالله يحت الجلبة ، فصل انت بقلب شغوف . ان كل كلمة من كلماته مقنعة ، وهو يسد حاجتك ويسمع صوتك ويتقبل عطاياك . » في مثل هـذا الموقف يتجه المصلي صوب الله الذي هو له مصدر ينبوع روحي فيقول : « أيها البئر العـذب لمن يعطش في الصحراء ، انه بئر ينضب لمن يرفع صوته اما للصامت فهو متدفق — ومتى جاء ذلك الصامت فيتفجر له البئر . » وهذا الموقف : موقف الصلة الروحية الصامتة المتطلعة صوب خير الله لم يكن قاصرا على نخبة ممتازة من الخاصة ولا على جموع الكهنة المتعلمين ، بل ان آمون يوصف بانه « الاله الذي يأتي للصامت » على مخلفات أصغر الناس . وهذا النمو النهائي للشعور الذي كان ثورة الخاتون الدينية الفكرية والذي كان منتهى ما وصلت اليـه أحلام المنادين بالاصلاح الاجتماعي منـذ عهد الاقطاع كان اسمى مرحلة وصل اليها الدين في مصر

وقد ظل الحكماء في ذلك العصر محتفظين بالتعاليم القديمة من حيث المثل العليا وزادوا عليها بان طالبوا بتطبيقها عمليا . فالصيت يجب أن يحفظ نقيا : « دع كل مكان تحبه معروفا » يقول آني . اما ادمان الخمر والابتذال في المعيشة فما يجب الابتعاد عنهما . ولا يتورع الحكماء عن ان يتحدثوا بصراحة تامة ومن دون خجل : « احفظ نفسك من المرأة الغريبة غير المعروفة في المدينة ، لا تنظر اليها . لا تعرفها بالجسد لانها مياه جارفة مزبدة لا يعرف لها الرجل قرارا . ان المرأة البعيدة عن زوجها تقول : « انا جميلة » وتعلن عن جمالها يوميا . وحين تظن انها في مأمن تحاول نصب الشباك لصيدك . بالمظم الجريمة ، عقابها الموت ان اطاعها الرجل حتى وان ظلت طي الكتمان لان الرجل يستهين بكل خطيئة ويقدم عليها بعد ذلك . » كذلك يجب ان يتخذ الانسان موقف الفيلسوف بأزاء خيرات الحياة وملازها في الحق ان يتكل على الغنى الموروث : « لا تقل ان والد أمي له دار ومزرعة في منطقة كذا . » وحين يصلك الارث اقسمه مع اخوتك فلا يكون نصيبك الا المخزن . » فلا ثبات لهذه الاشياء . » لانه هكذا كان منذ الأزل — ان الانسان لاشيء . واحد غني وآخر فقير ، ومن كان غنيا بالأمس اصبح معـدما اليوم ... ومجرى المياه في السنة الماضية قد جف هذه السنة . البحار الكبيرة تنضب والشواطئ تصير بحاراً . »

وحين وصل المصري الى ألف السنة الأخيرة قبل الميلاد وصل تطور الضمير عنده الى منتهاه

بخطوة حاسمة كانت الاجيال السابقة مهدت لها . فالصوت الداخلى الذى اشتد واصبح صاحب السيادة بلا منازع والذى كان نتيجة للعوامل الاجتماعية ونتيجة للتطور الطويل مدى قرون عديدة بفعل التأملات العميقة صار الآن صوت الله نفسه . فلقد نشأت هذه الفكرة منذ خمسة قرون عند بدء الامبراطورية المصرية — ولكن فى هذا العصر عصر التقوى الفردية صار الضمير من غير شك صوت الله . ولا يمكن بحال من الاحوال ان ينكر المذنب خطاياه لانه ادرك بان الله عالم بالخفايا والاسرار . لذلك يضع المؤمن حياته بين يدى الله تاركا له الامر بلا قيد ولا تحفظ . نعم ان رضى المجتمع لايزال امرا عظيم الخطر وضغط التقاليد الاجتماعية لايزال قويا ولكن فوق هذا وذاك تعلو المسئولية الفردية التى يشعر كل انسان انه مسئول بها امام الله العالم بكل شىء .

وهذا الاتجاه الجديد يبدو لنا واضحا فى رسالة مدهشة يصح لنا ان نسميها « حكمة امينموپى » وهى الآن محفوظة فى ملف بالمتحف البريطانى . وهذه الرسالة كما هو معهود فى كل الرسائل المصرية القديمة موجهة من والد الى ابنه الا انها أكثر ترتيبا واحسن تبويبا من سواها . فهى مقسمة الى فصول منتظمة ، لكل فصل موضوع خاص ، وليس ذلك فحسب بل انها مرتبة فى شكلها فهى مقسمة الى أبيات كل بيت يحوى اربع شطرات ، ولو ان بعضها يحوى ست او ثمانى شطرات . ولكن المؤلف لم يعن بترتيب الفصول ترتيبا منطقيا .

ويقول الاستاذ لانج أكبر مفسر لهذه الرسالة فى مقارنة بين امينموپى وبين من سبقوه : « ان الاراء الدينية التى لامينموپى اعمق غورا وابعد تأملا فى عالم الفكر من تلك التى نادى بها كل من سبقوه فهو يفوقهم جميعا وكانت حكمته كحكم غيره من المفكرين قائمة على اعتبار ان التقوى فضيلة والتفكير فى الموت وفى الخلود هى الدوافع الى السلوك الادبى وان الله هو موزع الارزاق . اما تعاليمه فاساسها ادراكه ان الله هو العامل الاكبر فى تحديد تأملاته ومعرفته للحياة وللسلوك . » فهو اذن يضع نصب عينى ابنه هذه الوجهة صوب الحياة وهى انه يجب على الانسان ان يحيا كل لحظة منها سواء فى البيت او فى المكتب وهو موقن تماما بانه مسئول امام الله . وهذا التناهى فى السمو بالضمير وفى ادراك الله كما يبدو لنا خلال تعاليم مفكر مصرى عاش فى القرن العاشر قبل الميلاد من الامور المدهشة حقا . بل ان دهشتنا لتزداد حين نعلم ان هذه التعاليم كتبت قبل ان يكتب العهد

القديم حتى أنها ترجمت فيا بعد الى العبرية وكان اليهود يعرفونها تماما .

ورغبة منه فى اعداد ابنه لان يخدم حكومة بلاده يعرض هذا الحكيم لكل التجارب التى تعترض سبيله ويمحصها واحدة فواحدة ويحذر ابنه شرها . فهو ينصحه اذا اشتغل مثلا بمساحة الاراضى بما يلى :

لا ترفع الحدود المنصوبة على الحقول.

•••

لا تطمع فى شبر من الارض
ولا تعتد على حدود الارملة

•••

انتبه لمن يفعل هذا
ان بيته عدو المدينة
ومخازنه ستخرب .
ان ممتلكاته ستؤخذ من أيدى أبنائه
وتعطى لغيره .

•••

لاتدوس بقدمك على المحروث من أرض غيرك
لانه من صالحك ان تكون فى سلامة معهم.

•••

احرث الارض لتسد حاجتك
وكل خبزك مما تزرعه أنت
فالقليل الذى يعطيه الله
خير من الكثير عن طريق الشر

•••

إن الفقر من يدى الله
لهو خير من الغنى بلا تعب ،
والخبز والملح مع فرح القلب
أحسن من الخيرات مع الشقاء .

. . . .

ومن الشيق أن نلاحظ أن امينموبى لا يزال يقيم وزناً لحكم المجتمع فى بعض المواقف — فالتزام النزاهة التامة فى الأمور المالية واجب وهو يقول :

لخير لك أن تكون محبوباً من الناس
من أن تكون خزائنك مملئة
لأن الغنى مع الضمير المتعب لا قيمة له إذ
ما قيمة الثياب الناعمة
ما دام الإنسان خاطئاً أمام الله ؟

واليك نصيحة امينموبى لابنه اذا اشتغل فى مخازن الدولة واهرائها :

لا تدع الموازين تحيد ولا تتلاعب بها
لا تنقص مكاييل الغلال
لا تشته حفنة من القمح
ولا تهمل موازين الدولة

. . . .

والتشبيه الأخير غامض المعنى ولكن ربما كان المقصود ان المخازن الملكية لكثرة ما فيها لها من قوة الاغراء بالسرقة ما قد لا يجدى فى دفعه اليمين التى يقسمها من يدخل فى خدمة الملك .

والنزاهة فى العمل يجب أن يخضع لها الكبير والصغير بقيداً الحكيم أحد فصوله بتلك الكلمات « لا تطمع فى مال الفقير » ثم يليها هذه « لا تطمع فى خيرات الرجل العظيم . »

ثم ان الحكيم يهمه جداً أن تسود الاستقامة كل المعاملات القانونية فيقول

لا تضطر انساناً إلى الذهاب إلى المحكمة
ولا تجعل العدل «أو البر» يحيد
بينما تعجب بالثياب الناعمة
وتظلم صاحب الثياب الرثة .
لا تأخذ هدية من القوي
ولا تظلم لأجله الضعيف .
إن العدل هبة من الله
يعطيها من يشاء .

. . . .

إن قوة من يشابه « الآله »
تخلص البائس من ظلم القضاء .

. . . .

دع المشكلات لأصحابها
وبذلك تنعم بالحياة .
لانك ان جعلت قلبك ينعم بما لغيرك
فسيحكم الجلاد على جسدك .

. . . .

والكلام اللين والسلوك المعتدل هما من أهم الصفات فى نظر هذا الحكيم . أما التهديد المرتفع الصاخب فلن يغير ذرة من مقاصد الله لاعدائنا :

لا تقل إلى حاكم قوي
لذلك أستطيع أن أهاجم رجلا في المدينة.
لا تقل « بنا إني وجدت من يحميني
فأستطيع ان أهاجم عدوي . »

الحق انك لا تعرف ما تدبير الله

ولا تدرك ما يأتى به الغد .

ضع نفسك بين يدى الله

الى ان يتغلب سكونك عليهم (الاعداء)

ثم يستمر امينموبى فى التحذير من كثرة الكلام بلا تدبر مشيرا الى ما فى هذه العادة من خطر فيقول :

ان أنت سمعت خيرا أو شرا

فكأنك لم تسمع شيئا .

كرر الخير الذى بلغك

اما الشر فاكتمه فى داخلك

ثم يستطرد الحكيم فى كلامه فيحذر ابنه من أن يتسقط الاخبار أو يتسمع لما ليس من شأنه . وان تعاليمه لتشبه تعاليم بتاحوتب أى انها كانت تعاليم اتفق عليها ثمانية عشر قرنا وهى لا تزال لها أعظم القيمة فى أعين المصريين وعنهم أخذها العبرانيون .

كذلك ينصح الشيخ ابنه بتجنب الرياء وبان يكون صريحا مخلصا فى كل معاملاته :

لا تفصل قلبك عن لسانك

فبذلك تنجح فى كل مقاصدك

وبذلك أيضا تصير صاحب الكلمة المسموعة بين الناس

وفى أمان بين يدى الله .

لان الله يكره الرجل ذا اللسان المخادع

المرائى هو ما يمقت .

وان كانت معاشرة العظماء تغرى على الرياء فان مصاحبة المتسرعين ذوى المزاج الحاد خطرة كذلك لأنها تؤدى الى المغالاة فى الالفاظ :

لا تصاحب ذا الطبع الحاد

ولا ترغب فى الحديث معه

وان رسالة اميتموبى مليئة بالتحذير ضد المتسرع المندفع والشخصية المثلى فى نظره هى شخصية الرجل الوديع المترفق الذى تعلم كيف يتحكم فى نفسه . والشيخ يشبه سريع الغضب والحليم بشجرتين : شجرة غير منسقة تنبت فى الخلاء من غير أن يتعهدها انسان ، وشجرة نامية وسط حديقة تزينها وتظلل من فيها :

. . . .

ان الانسان الحكيم حقا الذى يختلى بنفسه
يشبه شجرة باسقة وسط حديقة ،
انه ينمو وتكثر ثماره
ويحيا فى حضرة الهه ،
ثماره شهية وظله مريح
ويجد نهايته فى الحديقة .

. . . .

لاتشتبك فى شجار مع ذى اللسان الحاد .

ثم يحث الشاب على عدم الاختلاط بالشخص الميال الى الخصام الحاد الطبع المندفع الذى لا يجد الشيخ كلمة يعبر بها عن شخصيته الا كلمة « حار » . اما الرجل المتدل الرصين فانه يصفه بانه « الصامت » الذى يعامل الجميع برفق ودعة .

ثم يذكر الشيخ ابنه فى هذا الصدد بأن

الله يحب من يرفه عن الفقير
أكثر مما يحب من يحترم العظيم

وبهذه الروح الوادعة المترفقة يحث الحكيم ابنه على حسن المعاملة مع الجميع :

لا تهزأ بأعمى ولا تضحك من قزم
ولا تؤذ مقعدا

ولا تحتقر انسانا بين يدى الله

ولا تكن خشنا معه ان خطأ

أما الرجال فهم من اللبن (الطوب النىء)

والله هو بانيهم

هو يهدم ثم يبنى يوميا

ويضع ألفا كما يشاء

ويعلى ألفا

طالما هم فى هذه الحياة

ما أسعد من يصل الى الغرب «الابدية»

وهو آمن بين يدى الله

ولأن الحياة غير ثابتة بحيث يعلو المرء تارة وينخفض اخرى ، ولأن الانسان لا يستند الا الى ارادة الله فان اميموبى ينبه ابنه الى ان الدهر قلب والى ان دوام الغنى من المحال . فيقول له

لاتدع القلب يهوى المال

. . . .

لا تتعب نفسك فى طلب المال

ما دامت تجد الكفاية ،

ان اتاك المال عن طريق السرقة

فلن يكون من نصيبك سوى ليلة ،

وحين يطلع عليك الصباح يكون قد ضاع

. . . .

لانه قد استعار اجنحة كالاوز

وطار الى السماء

. . . .

صل الى اتن الاله الشمس حين يشرق
وقل «اعطنى الامان والصحة» ،
وهو يعطيك حاجتك فى الحياة
فتنجو من الخوف

ولتصوير الشيخ للمال الذى قد استعار« اجنحة كالاوز» صدى فى سفر الامثال ومنه رن فى العالم الغربى . وشيخنا يجد ان الاطمئنان الى مثل هذه العروض الزائلة باطل وعبث وان المأمن الوحيد هو بين يدى الله — ويجد ان الصلاة اليه هى الوسيلة «للنجاة من الخوف» وراحة النفس والنجاة من الخوف لا يتأتيان الا بالارتكان على الله ، لهذا نجد تلك الكلمات التى هى اسمى ماخط ذلك الحكيم المصرى وهى :

لا تنم بالليل متخوفا من الغد
لانه حين يشرق النهار فما هو الغد ؟
ان المرء ليجهله ويجهل ما فيه
الله فى كماله
والانسان فى نقصه ،
ان الكلمات التى يلفظ بها الناس تختلف
كما تختلف اعمال الله
لا تقل «ليس لى خطيئة»
ولا تتعب نفسك فى التطاحن
اما الخطيئة فهى عند الله
وهى مختومة باصبعه
لا يوجد انسان كامل أمام الله ،
ولا يثبت أمامه نقص
ان أجهد انسان نفسه ليبلغ الكمال

فى لحظة يحطمه
كن ثابت القلب وطيد العزم
ولا تجعل من لسانك دفة
وان يكن اللسان دفة السفينة
فالله سيد الكل هو ربانها

ترى هل نسمع صدى تلك التعاليم عن الغد فى كلمات السيد المسيح حين قال «لا تهتموا بالغد؟» ربنا لن نصل ابدا الى الاجابة على هذا السؤال ولكن حكمة امينموبى قد بينت لنا من غير شك ان التعاليم الادبية المصرية قد تخطت حدود وادى النيل الى فلسطين . وليس ذلك فحسب بل ان بعضا من حكم هذا الشيخ قد شاعت بين مختلف الشعوب وهى لا تزال شائعة الى اليوم . وقد بين سيت (أحد المصرولوجيين الالمان) ان تلك السطور المبهمة عن تباين كلام الناس واعمال الله ليست سوى ذلك المثل الشائع بين الاقوام على اختلاف اجناسهم وهو : « المرء فى التفكير والرب فى التدبير » — فالمقابلة فى هذه السطور هى بين « كلمات الناس » و « اعمال الله » . هنا اذن اقدم مرجع للمثل المذكور آنفا . ومثل هذه النظرية المنتشرة بين الجميع للآن والتى كانت نظرية مصرية قديمة تثبت لنا ثباتا لا يقبل الجدل بان التطور الفكرى المعنوى فى مصر يشغل الحظ الاوفر من التاريخ البشرى بأجمعه ـ لا تاريخ الشرق فحسب . لذلك كان من الواجب دراسة الأطوار الاخيرة التى وصل اليها هذا التفكير قبل أن يجرف مصر تيار الامبرطوريات الغربية عنها .

وحين سقطت الامبراطورية المصرية فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد كانت القوى الداخلية والخارجية لمصر قد نفدت فلم تعد قادرة على اثارة التفكير الادبى الى اية ذروة مثل أعلى ما كانت قد وصلت اليه . فحل على ذلك الشعب الذى كان من قبل ممتلئا قوة ونشاطا ركود وخمول قاتل كالخدر وكان التغيير الذى حدث اذ ذاك لا يعدو ان يكون تغييرا فى الشكل لا ينطوى على اى تقدم فكرى وكانت سطوة الكهنة كحزب سياسى قد بلغت حدا حمل تحتمس الثالث فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد على ان يجعل من رئيس كهنة امون الكاهن الأعظم لمصر كلها . ومع ان هذا النفوذ كان قد تقلص قليلا ايام اخناتون ولكن لم يلبث الكهنة ان استعادوه بتمامه بل واكثر منه بعد ان دالت

دولة أتن . حتى ان رمسيس الثانى سمح ان تكون النبوءة التى تصدر عن هيكل أمون هى المسيطرة على اختياره لرئيس كهنة أمون — وبذلك أصبح من السهل على كهنة أمون ان يجعلوا ذلك المنصب الخطير وراثيا . ولم تعد مصر تستطيع ان تقاوم هذه « الدولة القائمة » داخل الدولة بل صارت قرينتها من الناحيتين السياسية والاقتصادية اذ ازدادت مطامع الكهنة وصاروا يستغلون الموارد الاقتصادية الى اقصى حد فانتهى الأمر بمصر ان صارت دولة خاضعة للحكم الكهنوتى حتى انه فى سنة ١١٠٠ ق . م اضطر الفرعون نفسه الى ان يتنازل عن العرش لرئيس هذه « الدولة » الكهنوتية .

وفى خلال هذا التطور الطويل الذى ادى فى النهاية الى ان يتسلم الحزب الكهنوتى مقاليد الحكم اتخذت المظاهر الخارجية الرسمية للدين صبغة من الكرامة والعظمة لم يسبق لها مثيل لا فى مصر ولا فى أية دولة اخرى من الدول القديمة . وستظل الهياكل التى تخلفت عن هذا العصر موضع الدهشة والاعجاب دائما ابدا — لا من حيث عظمتها الهندسية فحسب بل من ناحية ما تدل عليه من فرط الترف والرخاء ايضا . فان هذه القصور الرائعة التى للآلهة رفعت المراسيم الدينية الى مستوى سام من البهاء ، وبعد الأثر لم يتيسر لأى شعب آخر لا قبل ذلك العهد ولا بعده . وصار أمون الجالس على عرش من العظمة والبهاء والمتوج بهالة من المجد وسيلة هائلة فى أيدى كهنته للحكم والسلطان — واتسع نفوذه حتى ان الاحكام القضائية نفسها صارت تتوقف على هزة من رأسه ، وتناول سلطانه كتابة الوصايا والشهادة على المتهمين . وبذلك تحققت الصلاة القديمة حيث كان المظلوم يتوسل الى الاله ان يكون قاضيه ووزيره — تحققت حرفيا فنتجت عنها نتائج لم تكن لتدور بخلد الرجال الذين نطقوا بتلك الطلبة لاول مرة .

ولم يعد الدين قوة شخصية ادبية الا فى قلوب الفقراء والمتضعين من المؤمنين كاولئك الذين تلمسنا خلال صلواتهم روح التقوى والورع مما تركوه لنا فى قبورهم من لوحات وفاء لنذورهم . فهذه اللوحات ، ونصائح آنى ، وحكمة امينموبى ، نستشف منها كلها روحا من التقوى الفردية التى كانت نهاية ما وصل اليه التطور الفكرى الادبى فى مصر حوالى سنة ١٠٠٠ ق . م وكان ذلك العصر موافقا لعصر انقسام دولة اليهود الى دولتين : اسرائيل ويهوذا . على ان الدولة اليهودية فى الواقع لم

يدم اتحادها الا فى حكم ثلاثة ملوك . ومن المهم جدا ان نلحظ ان التطور الفكرى الادبى فى مصر كتطور ثقافتها كان قدقارب النهاية واجتاز خمسا وعشرين قرنا منذ ان بزغت شمسه حين بدأت حية اليهود القومية .

وحين تحول اضمحلال مصر بعد خمسمائة سنة الى عصر من التجديد سنة ٧٠٠ قبل الميلاد كان عصر التكوين والابتكار قد انقضى من حيث التفكير الدينى والادبى . فبدلا من ان تفيض مصر نشاطا وحماسة ويبدو نشاطها المتدفق فى الابتكار الفنى والادبى كما حدث لها فى كل عصر من عصور التجديد التى مرت عليها فى تاريخها المجيد — بدلا من التجديد والابتكار عمد رجالها الى النسج على المنوال القديم وتوطيده من جديد — وهذا القديم الذى كانوا يحاولون استرجاعه والنهج على منهاجه كان قاصرا على مخلفات القرون مع اغفال كل ما ادخلته الامبراطورية من تجديد . فكانوا ينظرون الى مصر القديمة خلال الحجب التى تكاثفت على مصر الفى سنة فيرون فى هذا الماضى البعيد صورة مثلى لما يجب ان يكون عليه نظام الحكم . وليس من شك فى ان هؤلاء المقلدين المقتفين أثر عهد سحيق مضى وانقضى كانوا فى محاولتهم بوضعه فى القالب القديم يرتطمون باستمرار بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية الجديدة التى كانت تقف سدا منيعا بينهم وبين مقصدهم — ولم يكن ممكنا بحال من الاحوال محو ألفى سنة من التاريخ او القضاء على آثارها ما بين عشية وضحاها . فكان الحاضر ظاهرا رغم ما أسبغوا عليه من أردية الماضى وكان الرداء الذى كسوا به الحقائق المرة الراهنة رداء باليا ما كان ليستر هذه الحقائق ابدا . فاحتالوا احتيالا على هذه المشكل ولجأوا الى ما لجأ اليه اليهود من بعدهم : اى انهم عزوا الحاضر للماضى كما عزا اليهود كل قوانينهم الى موسى . وهكذا كان التجديد نظريا بحتا .

واستعاد المصريون كل المخلفات المعروفة بملفات الاهرام وعادوا ينقشونها بحفافيرها على قبورهم على الرغم من أنهم لم يكونوا يفهمون معناها . واستمروا يستعملون كتاب الموتى ولو أنهم شوهوه وغيروا وبدلوا فيه . كذلك عادوا مرة أخرى يرسمون صور الحياة اليومية على جدران قبورهم ولكن الحياة التى رسموها وقتذاك كانت صورة طبق الأصل للصور المنحوتة على جدران الاهرامات وغيرها من قبور الدولة القديمة — وبلغ من اتقانهم تقليدها إن الناظر اليها لاول وهلة لا يخالجه شك فى أنها ترجع إلى العصور التى نقلت عنها . وحدث لشدة تعلقهم بهذا القديم واقدامهم على نقله إن رجالا سمه

«أباه» اعتزم أن يبنى له قبراً فأرسل عماله ومهندسيه إلى أسيوط لينقلوا الصور والنقوش الموجودة فى أحد القبور بحذافيرها لا لشىء إلا لان صاحب القبر الاسيوطى كان يحمل اسم «أباه» هو أيضا !

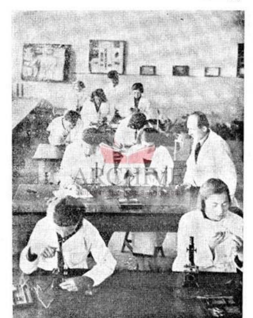
ويجب ألا ننسى انه إذا كانت قصة ممفيس قد حفظت إلى عصرنا هذا فذلك لان أحد الفراعنة الاثيوبيين من القرن الثامن قبل الميلاد أمر بأن ينقل كتاب الاسر الاولى «كتاب للاسلاف كاد يأكله الدود» فنقش على حجر من البازلت لا يزال موجوداً إلى اليوم بالمتحف البريطانى . وهكذا تسارع الجميع الى البحث عن كتب الاقدمين وملفاتهم المقدسة فنفضوا عنها غبار الاحقاب وجمعوها ورتبوها — لان الماضى صار المثل الذى يحتذى . وكان الكاهن الذى يقدس هذا الماضى يعيش فى عالم من الاشباح ولا يحمل رسالة حية الى العالم المعاصر . وكذلك كان الحال فى بابلون اذ سادتها أيضا روح الرجوع الى الماضى — وكانت على وشك ان تسود العبرانيين العائدين من المنفى أيضاً . وكأنما بدأت الشيخوخة تدب فى العالم فصار الناس يعيشون وهم ينظرون الى شبابه الغابر بألم وتطلع . وفى هذا الجهاد صوب الاحتفاظ بالقديم أخذت الديانة فى مصر تهوى تدريجيا الى الدرك الاسفل من الاضمحلال التى صارت كما وصفها هيرودوت مجموعة من المراسيم الآلية الخارجية تؤدى بدقة متناهية دون أن تحتوى أى معنى وعلى الرغم من كونها صارت جوفاء فان المصريين لفرط حرصهم على مظاهرها لقبوا بأنهم أكثر الشعوب تدينا . ولكن للاسف لم تعد هذه المظاهر تعبر عن روح نامية وثابة كما كانت أيام ان انصرف المصريون الى التأملات العميقة والتفكير المبدع .

ولقد راقبنا اجمالا تطور الافكار الادبية لدى شعب عظيم كما ازدهرت خلال ثلاثة آلاف من السنين تبعا لتأثير القوى الداخلية النفسية والقوى الخارجية التى أحاطت بذلك الشعب القديم فكونت عقله ودفعته الى ادراك الله وقواه اللانهائية والمستوى الادبى الذى يحتمه على البشرية . فالالوهية كما أدركها الشرق قديما كانت مظهرا للاختبارات الشخصية وكل الصور التى تخيلها الاقدمون عنها تعبر عن اسمى ما أدركه الناس وشعروا به — جمعوا كل ما حلوا به فى شخصية سامية مثلى هى شخصية الله — وهذه الشخصية المثلى رسموها فى شكل انسانى نبيل . وليس من شك فى ان تلك الكلمة التى فاه بها المجرسول والتى قصد بها التهكم اللاذع وهى : «ان نزاهة الاله هى ابنل عم .

— ليس من شك فى ان هذه الكلمة تعبر عن حقيقة رائعة . فنحن تبعنا الفكر المصرى القديم

ورأينا كيف ان هذا الخيال الرفيع قد عثر على « الهه العزيه » ، ونحن ورثنا الهنا عن العبرانيين . ولكن يحق لنا الان أن نتساءل عما ان كان هذا التراث الدينى الادبى قد بدأ مع العبرانيين أو أن التاريخ بما كشفه لنا من حقائق قد برهن لنا على ان هذا التراث أقدم عهدا من العبرانيين وانه يرجع الى عصور سحيقة امتزجت مثلها العليا وتأملاتها بأحلام العبرانيين وغيرهم من الامم القديمة فأنتقل الينا تراث سام وهو أنبل من خلفته البشرية بأجمعها بل هو الرسالة المثلى التى تسلمها الانسان عن أبيه الانسان





فتيات تركيات يدرسن بالمكرسكوب فى معهد غازى بانقره



فتيات تركيات فى ريف الاناضول

وليم مكدوجال

استاذ علم النفس بجامعة ديوك بنورث كارولينا (١٨٧١–١٩٣٨)

للدكتور صبري جرجس

ولد وليم ماكدوجال فى انجلترا عام ١٨٧١ ودرس فى كلية اللدين بمانشستر ، ثم التحق بكلية سنت جون فى كامبردج حيث نال اجازته الطبية ، وقد درس ايضا فى مستشفى سنت توماس وفى جامعة جوتنجن. وبعد تخرجه بقليل التحق بالبعثة الانثروبولوجية الذاهبة الى غينيا الجديدة وبورنيو بصحبة ريفرز ومايرز

وبعد عودته سنة ١٩٠٢ عين معيدا لعلم النفس فى جامعة الكلية بلندن ومنهـــا انتقل الى اكسفورد مدرسا للفلسفة العقلية ، وفى ذلك الحين تفرغ الى عمله الجامعى وانقطع اليه باذلا فيه كل جهده ونشاطه على الرغم من ضآلة مرتبه يومئذ . ثم جاءت الحرب الكبرى فالتحق بالقسم الطبي من الجيش ، وعندما انشىء مستشفى لينلور لمعالجة الامراض الوظيفية كان هو كبير اطبائه ، فجمع حوله عددا من الشبان الناشئين امثال هادفيلد الذين صاروا فيما بعد من تلاميذه ، وقد قضى هذا المنصب زهاء العام ، ولما حاول ان يعود بعد الحرب الى وظيفته فى اكسفورد قوبل بصدمة شديدة اثرت فى نفسه ايما تأثير فقال لاحد اصدقائه «لقد بذلت قصارى ما استطيع من جهدفى خدمةوطنى فى اثناء الحرب وهانئذ اعود الآن لارى معملى يؤخذ منى »

ثم عين بعد ذلك استاذا لعلم النفس فى جامعة هارفارد فشغل بذلك نفس الكرسى الذى كان يشغله وليم جيمس فى وقت ما . ولبث فى هذا المنصب حتى عام ١٩٢٧ حين تركه ليشغل المنصب الذى ظل فيه حتى يوم وفاته — استاذا لعلم النفس بجامعةديوك وقد كانت جامعة ديوك فى ذلك الحين

جامعة جديدة لم يتم انشاؤها بعد ، وكان هو كهلا فى السادسة والخمسين من عمره وبذا وجد نفسه وهو فى هذه السن ينشىء فى جامعة جديدة قسما جديدا لعلم النفس يبعد كل البعد عن التقاليد الجامعية التى استهل بها حياته ، بيد انه فى خلال الاحدى عشرة سنة التى قضاها فى هذا الكرسى استطاع ان ينشىء كلية اثبتت على مر الايام انها على قدر كبير من النشاط والحيوية والانتاج .

« • »

هذه المامة سريعة بحياة وليم مكدوجال الجامعية ، يتبين منها انه لم يتمتع بالاستقرار والهدوء اللازمين للبحث العلمى ، ولكن على الرغم من هذا الاضطراب الذى لازمه فان حياته الجامعية كانت على الدوام مفخرة له

اما اخلاقه فكانت اخلاق « الجنتلمان » بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ، وفيا لاصدقائه الى ابعد حدود الوفاء ، رب اسرة نادر المثال ، بل ان الذين يعرفونه بين اسرته لا يستطيعون ان يفصلوا اراءه فى السيكولوجية والاجتماع عن توفيقه وسعادته فى حياته البيتية .

وليم مكدوجال

وقد كان مكدوجال مهاجما بارعا قويا ، ولكنه لم يكن ضيق الافق باى حال كما هو الشأن مع اغلب المهاجمين ، وكان يقسو فى هجماته ولا يقبل الهوادة عند ما يلمس التلاعب بالمنطق او البعد عن الطريقة العلمية . وكان لايعرف الخوف عند ما يقتنع ، ولا يبالى مصلحته قط عند ما يدفعه اقتناعه برأى الى مهاجمة رأى آخر يدين به الناس مهما كان حظه من القوة والذيوع ، وقد كلفه هذا الخلق كثيرا من المتاعب وكان هو السبب الاهم فى تركه هارفارد ، اذ انه اعلن حينذاك تلك الحرب العنيفة المعروفة على الماديين والسلوكيين فلم تتسع لها صدورهم . وكان الى جانب هذا قوى الملاحظة دقيقا فى دراسة الخلق الانسانى : فى ابسط مظاهره وبيئاته وفى اكثرها تعقيدا ونفاقا على السواء .

وقد عزا البعض إلى مكدوجال انه كان حاسما فى أرائه ، متعصبا له ، متغطرسا فى الاعتداد بها ،

ولكننا نظن إن هذه الصفات يمكن أن تعزى إلى طريقته فى البحث أكثر مما نصف تفكيره نفسه ، ولعلنا ننصفه فنقول إن تفكيره كان استنتاجيا أكثر منه استقرائيا .

• • •

ويعد مكدوجال من العلماء متأخرى الانتاج ، ولكن أكثر عهوده انتاجا كانت اثناء وجوده بهارفارد .

وقد كتب قبل التحاقه بها بضعة كتب هى :

« مقدمة للسيكولوجية الاجتماعية » و « الجسم والعقل » و « قبائل الباجان فى بورنيو » و « عقل الجماعة » وكان أولها هو أكثرها ذيوعا وانتشارا ولعلنا لا نخطىء إذا قلنا بأنه سيظل يقرأ ويرجع اليه بعد أن تعق وتنسى كثير من كتب علم النفس ذات الحظوة الكبيرة اليوم .

وفى هارفارد نشر الكتب الآتية :

« التقدم والانحلال القومى » وفى هذا الكتاب حقائق لا يزال المجتمع فى الدنيا بأسرها بحاجة إلى تفهمها وهضمها . ثم أعقب هذا بكتاب « ملخص فى علم النفس » و « الأخلاق وبعض المشاكل الحديثة » و « الاتحاد الذى لا يهدم » و « ملخص فى السيكولوجية غير الطبيعية » و « الأخلاق وسلوك الحياة »

أما المرحلة الأخيرة ، وهى مرحلة جامعة ديوك فقد نشر فيها الكتب الآتية :

« قهر الحرب » و « المادية الحديثة والتطور الضرورى » و « اضطراب العالم » و « نشاط الانسان » و « الدين وعلوم الحياة » و « حدود علم النفس » . وقد ظهر آخر كتبه وهو كتاب « مشكلة الحياة » فى شهر نوفمبر الماضى . وليس فى هذه الكتب جميعها ما يمكن أن يعد كتابا كبيرا ، وأشهرها هو كتاب « الدين وعلوم الحياة » وفيه يقرر مكدوجال عقيدة دينية انتهى اليها على الأرجح من دراسته المتصلة للغرض من السلوك الانسانى . وقد يكون لتغيير موقفه الذى بدا فى هذا الكتاب سبب آخر يتصل بحياته الخاصة : هو أنه كتب بعد موت ابنه فى احد العروض الجوية بوقت قصير .

اما حماسته لليوجنيه ومناداته بانحلال الجنس فانهما التفاعل الطبيعى والمعقول لاعتناقه اراء لامارك

وقد ظهر اثر هذه الحماسة ايضا فى تجاربه العجيبه التى قام بعملها على الفيران محاولا ان يثبت بها ان الكفاءات المكتسبه يمكن ان تنتقل بالوراثة ايضاً . وقام العالم الروسى الكبير بافلوف بعمل تجارب مماثلة ثم بعد ان قبل نتائجها عاد فنبذها لخق عليه مكدوجال لقصوره عن متابعة ابحاثه واكتفائه باربعة اجيال ، فى حين ان تجاربه هو كانت امتدت الى الجيل الخامس والعشرين . وقد بقى مكدوجال فى هذه التجارب ، كما كان فى جميع تجاربه الاخرى ، الرجل العلمى الامين الى ابعد حدود الأمانة

« • »

اما أراؤه فى السيكلوجية فلا يمكن الالمام بها جميعا فى هذا العرض الموجز ، وحسبنا هنا ان نذكر شيئاً عنها مع الاشارة الى أم نقط الخلاف بينه وبين غيره من اصحاب المدارس الاخرى .

وسيكوجية ماكدوجال هى فى لبابها «سيكولوجية غرضية »

وللسيكولوجية الغرضية مذهبان: (١) مذهب الهيدونية (اللذة) وهو يقول ان بعض الاهداف يسعى اليها لانها تعطينا الوانا خاصة من السرور والارتواء . و(ب) مذهب الهورمية وهو يقول ان الاهداف يسعى اليها لذاتها ، اى لما فيها من القيمة الذاتية بغض النظر عما قد يصاحب تحقيقها من اللذة . وسيكولوجية مكدوجال الهورمية هى المثال الهام لهذه المدرسة ، فانها تقرر بان كل انسان او حيوان يملك نزعات او دوافع يؤدى كل منها الى غاية محددة وهذه النتيجة النهائية هى الغرض وهذه النزعات او الدوافع تفسر كل انواع السلوك ، والسلوك هنا كلمة ينبغى ان ينظر اليها بمعناها الرحب .

ولن يكون عجيبا بعد هذا ان يكون لمكدوجال رأى خاص فى الغريزة يختلف عن اراء غيره عموما ، وعن اراء مدرسة التحليل النفسى (المدرسة الفرويدية) على وجه الخصوص .

فان مكدوجال يعرف الغريزة بأنها « ميل نفسى جسدى موروث (او خلق) من شأنه ان يوجه صاحبه الى ادراك امور من نوع خاص والعناية بها ، وان يجعله يحس باهتياج عاطفى ذى صفة خاصة عند ادراك مثل هذه الأمور ، وان يدفعه الى التصرف على صورة خاصة ، او على الاقل يجعله يشعر بدافع للتصرف على نحو هذه الصورة » .

أو بعبارة أخرى ان محل ألوان النشاط الغريزى عند مكدوجال ترجع الى اتجاهات فطرية (أوخلقية) تنقسم بحسب طبيعة الافعال التى تحدثها والنتائج المباشرة التى تحققها . وهو ينظر الى هذه الاتجاهات من ثلاثة نواح : (١) ناحية المعرفة أو الادراك «وهذه تتضمن ان كل غريزة يثيرها منبه من نوع خاص» . و«ب» ناحية العاطفة «وهذه تتضمن الاحساس النوعى الخاص الذى يعقب اثارة الغريزة» . و«حـ» ناحية النزوع أو الرغبة «وهذه تتضمن الفعل الذى يقع بناء على ذلك الاحساس» .

ومن ثم فان الغرائز فى نظر مكدوجال هى نزعات خلقية لا تظهر الا فى مواقف خاصة فقط ، محدودة فى تطبيقها ، نزاعة الى الاستجابات المباشرة عادة ، ولا تعمل الا تحت تأثير منبهات نوعية خاصة .

أما نظرة المدرسة الفرويدية الى الغريزة فتختلف عن هذه النظرة كل الاختلاف . فان فرويد وأتباعه يعدون ان محل سلوك سوى أكان غريزيا أم لا يرجع الى أحد الدوافع الآتية :

«ا» الدافع الذاتى « دافع الذات » و«ب» الدافع الجنسى «دافع الجنس» ويضيف البعض الى هذين الدافعين دافعا ثالثا هو «حـ» دافع القطيع (دافع الجماعة) فهنا نرى ان السلوك الانسانى يخضع لثلاثة دوافع رئيسية وحسب ، وهذه الدوافع تعرف طبقا لنتائجها أو اهدافها النهائية لا اهدافها القريبة أو المباشرة كما يقول ما كدوجال ، وتخدم على الترتيب والتوالى حاجات الذات وحاجات الجنس وحاجات الجماعة .

ولعل خير محاولة للتقريب بين هذين الرأيين هو ان نذكر ان الكائن قد تكون له اهداف غريزية بعيدة كما تكون له اهداف مباشرة ، وان أى هدف من هذه الاهداف المباشرة قد يكون مرحلة ليس الا فى طريق الاصول الى هدف بعيد ، أو بعبارة أخرى الا نعد الغريزة كما يفهمها مكدوجال كواحدة من هذه الدوافع الثلاثة ولكن كخطوة فى سبيل تحقيقها ، فلا نعد مثلا غريزة المشاكسة أو القتال جزءا من أحد هذه الدوافع الثلاثة ولكن نعدها خطوة فى طريق كل منها ، فهى يمكن أن تكون خطوة لهدف هو فى نهايته ذاتى ، أو لهدف جنسى ، أو لهدف اجتماعى . وبعبارة أخرى يمكن أن تستخدم الحاجات الاساسية الثلاث كل غريزة من غرائز مكدوجال فى سبيل تحقيق هدفها النهائى .

ويمكننا الان ان نلخص نقط الخلاف بين الاثنين ، ، فيما يتعلق بالغرائز ، فيما يأتى :

(١) يرى مكدوجال ان الاهداف التى ترمى اليها الغرائز هى اهداف مباشرة او قريبة بينما يراها فرويد اهدافا نهائية او بعيدة

(٢) يرى مكدوجال ان الغرائز لاتنشط الا اذا اثارتها منبهات نوعية ، بينما يربط فرويد بالنشاط الغريزى حالة من التوتر او الاهتياج تدفع الكائن الى محاولة الافصاح حتى مع غياب المنبهات الخارجية .

ونحن لهذا نرى لم تتضمن الشهوة الجنسية (الليبد) كل الاتجاهات الغريزية التى تنمو فى النهاية الى حفظ النوع . فليس الامر فى هذه الحالة هو مجرد نزوع الى القيام بعملية الانسال (وهى الغريزة الجنسية عند مكدوجال) ولكنه يشمل أيضا كل الاتجاهات التى تعمل على اظهار الجاذبية التناسلية والفوارق الجنسية والاحتفاظ بها فالانسان يتوقف على الجاذبية بين الجنسين ، وهذه الجاذبية تتوقف بدورها على الفوارق الجنسية — العقلية والجسدية على السواء .

وثمة نقطة أخرى خالف فيها مكدوجال المدرسة الفرويدية هى نقطة التناسلية الطفلية التى ترى دلالة جنسية فى كل عمل يقوم به الفرد حتى فى اثناء الرضاعة . لقد هاجم ماكدوجال هذا الرأى فى كتابه « ملخص فى السيكولوجية المرضية » وقال ان مدرسة التحليل النفسى يخطئها التوفيق حينما تحاول ان تلتمس البرهان على هذه المزاعم فى مشاهدات مبعثرة وذكريات لا يركن اليها لاشخاص مصابين باضطرابات عصبية . وهو يعترف بانه من الممكن ان تكون بعض حالات الاستمناء فى الاطفال راجعة الى نشاط جنسى ، ولكنه يقول ان هذه الحالات يجب ان تعد غير عادية ، بل يجب أن تعتبر امثلة استثنائية لنضوج مبكر كتلك التى يظهر فيها النضوج المبكر فى الصفات التناسلية الثانوية ، ويمضى فى رأيه فيقول ان كل التواريخ الذاتية التى تصف الحياة الجنسية تجمع على ان الغريزة الجنسية تبدأ فى اظهار بعض نشاطها فى الطفل المتوسط العادى حوالى سن الثامنة او التاسعة — وهذا يخالف رأى فرويد الذى يقول بان الغريزة الجنسية تنشط فى الطفل فى السنوات الاولى من حياته ثم يعقب ذلك دور خمود . ويقول بعض اصحاب هذه التواريخ الذاتية انهم يذكرون تماما كيف تعرضوا لاهتياجات تناسلية فى اوقات مختلفة ، حدثت عند بعضهم

عند الطفولة وتأخرت عند البعض حتى سن العاشرة دون ان يكون لها اى تأثير عليهم فى ذلك الحين ثم لما جاء الوقت المناسب بعد بضع سنوات ظهرت الغريزة الجنسية عندهم فى كامل قوتها .

وقد اختلف مكدوجال مع المدرسة الفرويدية فى نظريتها فى « مركب العشق الوالدى » التى تتلخص فى ان الطفل يميل الى الوالد من الجنس الآخر ، وان هذا الميل ينطوى على عامل تناسلى غير منكور . وهو يتفق مع غيره من الباحثين فى ان تفضيل الطفل لاحد الوالدين يتوقف كلية على ايهما يكون اشد رعاية له واكثر استجابة لمطالبه وحاجاته ، وهذا لاعلاقة له بجنس الوالد فى شيء . وينكر بشدة الرأى القائل بان حب الطفل للوالد من غير جنسه .

وقد دارت حول هذا الموضوع مناقشات طويلة عنيفة ، ودافع الفرويديون عن نظريتهم قائلين ان التحريم القانونى المتواصل قد أثر فى ضغط العشق الوالدى لا كعمل فقط ، ولكن أثر فى ضغطه كرغبة ايضاً ، ويعترفون بان هناك نفورا شاملا عاما من العشق الوالدى ويعزون هذا النفور الى منعه . ولكن حديثهم فى هذا الموضوع لا يخلو من بعض المتناقضات . وليس من شأننا الان ان نخوض فى بحث تفاصيل النقاش فى هذه النقطة ، وانما حسبنا ان نسجل هنا هذا الخلاف على ركن من الاركان الهامة فى التعاليم الفرويدية .

ولمكدوجال رأى عن « عقل الجماعة » اثار كثيرا من الاعتراض . وهو يتلخص فى أن الطريقة التى يتصرف بها الناس ويفكرون كجماعة تختلف عن الطريقة التى يتصرفون ويفكرون بها كافراد ، وهذا يتضمن انه لا يعد عقل الجماعة مجموع عقول الافراد ، كما انه لا يعنى حين يتكلم عن الجماعة جماعة واحدة ولكنه يعنى عدة جماعات وهذا يجعل رأيه عرضة للتجريح فى مواضع كثيرة ويزيد ضعف رأيه انكشافا ووضوحا حين نذكر انه يتحدث عن الجماعات المنظمة ، مما يجعل الاركان الاساسية فى نظريته تختلط

ومن تقرير الحقيقة ان نقول ان مكدوجال ليس اول من ابتكر نظرية عقل الجماعة ، فقد سبقه اليها روسو تحت اسم الادارة العامة وهيجل تحت اسم « روح العشيرة » ورينان تحت اسم « الضمير الجامع » وهى كلها اسماء يعنى اصحابها بها فى النهاية هذا المعنى ذاته .

ولكن مهما يكن من اختلاف مكدوجال مع المدرسة الفرويدية على التفاصيل فانه كان على استعداد

حسن لقبول كثير من اراتها المركزية دون أن يعبأ بما يحوطها مما كان فى نظره مزاعم لا مبرر لها ومن ثم فانه كان عميق التقدير لفرويد ، بل لقد قال عنه « من الممكن أن نجد ثغرات لنقد نظريات التحليل النفسى فى جميع نواحيها ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن فرويد قد أحدث تغييرا دائم الاثر والدلالة فى الفكر البشرى »

أما السلوكيون فهم الذين أثاروا أقسى هجماته ، فان السلوكية تنكر الاحساس الذاتى والاستبطان ولا تعترف بشىء غير المشاهدة الموضوعية ، وهى كذلك لا تعترف بأثر الوراثة الا من الناحية الجسدية فقط ، وقصارى ما تسمح به هو أن بعض الصفات الجسدية الموروثة قد تساعد أو تمنع نمو بعض المميزات العقلية ، دون أن تصلنا هذه المميزات عن طريق الوراثة من أسلافنا . ومن الواضح أن فهم الغرائز على طريقة مكدوجال لا يجد له محلا فى النظرية السلوكية لانها تعزو كل الاستجابات المركبة فى الافراد الى عادات اكتسبت أثناء الحياة الأولى لا الى الغريزة

وقد كانت السلوكية عندما هاجمها مكدوجال فى أوجها ، ولكنه لم يبال شيئا ، وما زال بها يكشف كل يوم عن ناحية من نواحى الضعف فيها ويهدم كل يوم ركنا من أركانها حتى استقرت حيث ينبغى أن تكون : طريقة فى البحث السيكولوجى ، لا مدرسة فلسفية قائمة بذاتها . ولعل هذه النهاية للسلوكية كانت من اكبر عوامل عزاء مكدوجال فى سنيه الاخيرة .

أما مع يونج فقد كان اكثر اتفاقا واحتمالا لآرائه ، كما انهما كانا يتفقان فى كثير من تفاصيل « السيكولوجية الغرضية » ومما يلفت النظر فى مكدوجال أنه وقد جاوز الخمسين ، واستفاضت شهرته كعالم له أثره فى الاوساط العلمية سلم نفسه لتحليل النفسى بواسطة يونج ، ولم يكن ليقوم بهذا العمل لو أنه كان كما يدعى بعض خصومه متحجرا وعنيدا

« • »

أما اراؤه ومبادئه الاجتماعية فقد ضمنها كتابية « الاخلاق وبعض المشاكل الحديثة » و « الاخلاق وسلوك الحياة » وفى هذا الكتاب الاخير يحمل حملة شعواء على نظرة الاباحة والاستهتار التى أصبح الناس ينظرون بها الى العلاقات الجنسية ، وينتقد المقاييس الخلقية الجديدة التى أخذت تحتل مكان المقاييس القديمة . وقد هاجم بصفة خاصة تلك المداعبات الجنسية « التى لا تنتهى الى الفعل ذاته »

التى أصبح العرف يبيحها للجنسين وخصوصا فى الجامعات ، لاعتقاده أن مثل هذه المداعبات يجب أن تنتهى الى نتيجتها الطبيعية وهى الاتصال الجسدى — فاذا وقفت دونه كما يحدث فى بعض الاحيان كان فى هذا كثير من الاجهاد للجهاز العصبى بصفة خاصة وللصحة بصفة عامة ، فضلا عما فيه من الهبوط عن المستوى الادبى الذى ينبغى على الشخص المهذب ألا يتخطاه

ولنظرته فى هذه الامور ناحية أعم من الناحية الفردية وهى الناحية الجنسية ، وقد ضمن فى كتابه « الأخلاق وبعض المشاكل الحديثة » رأيه فى المشكلة التى طالما أهمته واستغرقت الكثير من عنايته : مشكلة انحلال الجنس فعالجها فى بحث أمين مقبول

غير أن الكثيرين يرون فى اراء مكدوجال عن الحياة الزوجية والاجتماعية اتجاها رجعيا ، ولذلك حمل عليه البعض حملات قاسية فيها الكثير من السخرية والتقريع ، وقال بعض نقاده أن نظرته الى الجنس والدين هى النظرة الدينية الضيقة فى أفقها ومداها ، وأحرجه البعض الآخر فقارن موقفه الضيق من مشاكل الحياة الجنسية بالموقف الرحب الذى يقفه كتاب آخرون من أمثال الن كى وهافلوك اليس ومارجريت سانجر وغيرهم . ولكن كل هذا لم يثنه عن رأيه فظل يكافح عنه بكل ما يستطيع من قدرة وايمان حتى آخر حياته

« * »

هذا عرض موجز سريع لحياة رجل عاش مكافحا من أجل العلم ، أمينا لمبادئه ، وبموته تختفى من مسرح الحياة شخصية فذة معروفة ، وفريدة فى كثير من النواحى .

غرامة

لكل أمة محاكمها التى تعكس كالمرآة عقليتها . فقد حدث أن سيدة كانت فى أحد الشوارع فى لندن فتصادم أمامها اتومبيلان وأغمى عليها وأفاقت من الاغماء وهى متأثرة بصدمة عقلية . وهذا مع العلم بان واحدا من الاتومبيلين لم يمسها فتقدمت الى المحكمة تشكو صاحبي هذين الاتومبلين فحكمت لها المحكمة بتعويض عليهما بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه

تقدم العلوم والفنون

أصل القاهرة:

ان « القاهرة » الحالية ، أو على الاصح مكانها الحالى ، كان مدينة فى القديم ، فثابت فى تاريخ مصر انها كانت ضاحية لا عاصمة وكان اسمها المصرى القديم «قارهة» وترجمته «مكان الموقعة» التى ورد وقوعها فى أساطير المصريين بين «حور» و «ست» من معبودات المصريين القدماء ويرجع وجودها إلى نحو عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد أى إلى عهد الاسرة الثالثة التى كانت تتخذ منف عاصمة لمصر

وكانت «القارهة» تقع بين «منف» أبيدرشين الحالية و «أون» عين شمس الحالية .

فلما جاء عهد الأسرة الرابعة اتخذ ملوكها لانفسهم عاصمة جديدة فى منتصف المسافة بين «منف» و «أون» على الشاطىء الغربى للنيل وسموا هذه العاصمة الجديدة «جيزة» ومعناها بالمصرية القديمة «المنتصف» وسكنوها وأقاموا مقابرهم فى أقرب صحراء اليها أى فى منطقة اهرام الجيزة .

وزاد عمران ضحية «القارهة» ، التى كانت على الشاطىء الشرقى للنيل ، بانشاء العاصمة الجديدة «الجيزة» على الشاطىء الغربى تجاهها لكنها لم تكن فى يوم من الايام القديمة عاصمة للقطر المصرى

ولما احتل الاغريق مصر اطلقوا على هذه الضاحية اسم «بابلون» وهذا الاسم ايضا مصرى الاصل كان يطلق على جزيرة الروضه الحالية وأصله: — «رحاب — ن — أون» وقد حذف الاغريق منه حرف الحاء لعدم وجودها فى اللغة اليونانيه ، والراء المصرية معروف أنها خفيفة النطق جدا الى حد أنها تحذف أحيانا . ومعنى الكلمة «قصر النيل التابع لعين شمس»

ثم جاء الرومان فأقاموا فى «بابلون» حصنا وثبتوا تسمية الاغريق «بابلون» لهذه الضاحية التى كانت قد كبرت فى عهدهم وأصبحت مدينة كبرى فتحها العرب من ناحية الحصن وسمعوا الرومان يتحدثون عن «الفوساط» الكلمة اللاتينية التى تعنى الخنادق التى أحاطوا بهـا الحصن فسموها «الفسطاط» ونزلوا بها وأصبحت التسمية عربية

وأخذت الفسطاط تتحول كعاصمة الى القطائع بالقاهرة وتحولت دفة الزمن فاصبحت العاصمة القديمة «الجيزة» ضاحية للقاهرة وأصبحت «القارهة» الى «القاهرة» الضاحية القديمة عاصمه ..

ترى هل أثر الانقلاب الزمنى بدوره على الاسم فقلب «القارهة» الى «القاهرة» كما قلب العاصمة الى ضاحية والضاحية الى العاصمه ...

حسن صبحى

الامبراطورية

فى يوم ٢٤ نوفمبر من السنة الماضية طلبت وزارة البحرية البريطانية من جميع البواخر أن تعين مراكزها فى البحار أو الموانى . وكان هذا الطلب بالرديوغراف أى التلغراف الجوى . وأجابتها البواخر فنشرت خارطة عن ذلك تبين فيهـا مواقف أو أماكن البواخر حين أجابت على السؤال الموجه اليها . ويتضح أنه فى ذلك اليوم كان ١٧٧١ باخرة فوق الامواج تقطع البحار و ٧٠٥ باخرة راسية فى الموانى

وقد نشرت احدى الجرائد هذه الخارطة . والمتأمل لها يعرف عظمة هذه الامبراطورية ومداها ففى ذلك اليوم — ٢٤ نوفمبر — كان فى المحيط الأطلنطى بين أوربا وأمريكا ما يزيد على الف باخرة ومن جبل طارق الى الهند خط لا ينقطع من البواخر . وحول استراليا وأفريقيا الجنوبية مئات من البواخر حتى ليتوهم الناظر الى الخارطة أن بحار العالم كلها انجليزية

الغرق

وبتجهيز البواخر بجهاز الرديوغراف أصبح جميعهـا مؤمنا تقريبا من أخطار البحار . ومن البعيد جدا أن تغرق باخرة فى المحيط فى أيامنا . لأن الباخرة تحتاج عادة الى ساعتين قبل أن تغرق

وهى عندما تصاب بأى حادث خطر تذيع على العالم ما حدث لها وتبين مكانها من البحر أو المحيط فتسارع سائر البواخر الى اغاثتها . بل تسارع أحيانا الطائرات الى ذلك

ولما اصطدمت الباخرة تيتانيك بالبارجة فى عرض المحيط الاطلنطى سنة ١٩١٢ بقيت اكثر من ساعتين قبل أن تغوص ولو انها كانت مجهزة بالراديوغراف لامكن انقاذ جميع المسافرين فيها . بل الواقع انها كانت مجهزة ولكن الجهاز كان مختلا وكانت الأجهزة فى ذلك الوقت غير متقنة الصنع والعامل المكلف الالتفات غير مدرب فضاعت الباخرة قبل التبليغ

تونس

يحسن الاوربيون فى التمييز بين القطر والعاصمة . فهم يقولون تونسيا للقطر ، وتونس للعاصمة وكذلك يفعلون فى التمييز بين العاصمة والقطر فى الجزائر ولكنا نحن نضع اسما واحدا لكليهما فيكون هذا سببا للارتباك . بل هذا يضطرنا الى ان نقول تونس القطر ، وتونس المدينة

وتونس المدينة يبلغ سكانها ٣٥٠ الف منهم ١٨٤ الف من المسلمين و٦٧ الفا من الايطاليين و٣٢ الفا من اليهود و٧ الاف من سائر الاجانب ولكن معظم هؤلاء من المالطيين . والبلدة قسمان احدهما الحى العربى والآخر الحى الاوربى على نحو ما ترى فى بور سعيد أو الاسماعيلية ويسمى الحى العربى «القصبة» أو «المدينة» وهو مشيد على النمط القديم حيث الازقة الضيقة والاسواق التونسية الاصلية التى تباع فيها جميع المصنوعات والمحصولات التونسية وجميع العرب تقريبا فى تونس المدينة يمكنهم التفاهم باللغة الفرنسية

حضارة

للحضارة ثمنها العالى . فازاء الرفاهية التى تجلبها لنا تجعلنا عرضة للاخطار . فقد ذكرت التلغرافات ان عدد القتلى يوم ٢٥ ديسمبر الماضى وهو عيد الميلاد ويوم أول يناير أى رأس السنة قد بلغ فى الولايات المتحدة ٤٠٩ وهذا غير الجرحى

ومعظم هؤلاء القتلى قد لقوا حتفهم تحت الاتوموبيلات

والبيت المتمدن الآن هو شبكة من الاخطار . فهناك المصعد الكهربائى الذى يؤدى الخلل فيه الى الموت السريع ، وهناك المطبخ الذى يجرى فيه الطبخ والتبريد بالقوة الكهربائية وهى عند مايتعرى جزء صغير من أسلاكها تكفى لقتل من يمسها . بل هناك الانزلاق فى الحمام وهو يحدث من الكسر للاجسام ما لا تحصى حوادثه

ولا تقل حوادث البيوت لهذا السبب عن مليون حادث فى الولايات المتحدة كل عام . وليست جرائم الاتومبيل بالمقابلة الى ما يحدث فى البيوت خطيرة أو كبيرة

النحل فى علاج الروماتزم

للدكتور رياض عبد العزيز البيونى

قام كثير من العلماء مثل الدكتور مارسلين راى والدكتورة مدام مارى فيزالكس الاختصاصية فى الحقن ضد مرض الروماتزم والبروفسير موريس بيران الاستاذ بكلية الطب بباريس ، والاستاذ ج . ليرميت بجامعة باريس والدكتور جيبو بجامعة نانسى ، والاستاذ ووخ بجامعة جنيف وغيرهم بدراسة موضوع استعمال سم النحل فى علاج الروماتزم بالحقن ، وأثبتوا فائدته فى ذلك . وترجع فكرة استعمال مصل النحل فى الاصل إلى الطبيب الفرنسى العلامة دى مارتيس وذلك فى عام ١٨٥٥ ، حيث قام بتجارب متواصلة مدة ٢٣ سنة ، حتى تبين الفائدة فى لسع النحل كعلاج لروماتزم المفاصل الحاد . وكيفية العلاج هى أن يعرض المصاب بأن يلسعه عدة لسعات على مقربة من المفصل المصاب (وسينصرف الألم بعد ذلك) وتكرر العملية للوصول إلى الشفاء التام . ويجب أن يحصل اللسع بمجرد جمع النحل المراد استعماله لهذا الغرض ، وفى اقل وقت ممكن ، كما يجب اجتناب حبس النحل لمدة طويلة قبل عملية اللسع ، لئلا يفقد مفعوله بسبب تقاتل أفراده ، ويفقد بعض المصل الذى يحتويه ، وكذلك يجتنب إحداث ضغط شديد عليه فى أثناء العمل ولهذا يستحسن استحضار الشخص المراد علاجه على مقربة من خلية النحل ، حتى يتم اللسع فورا. وأكثر الحالات التى كان يعالجها الاستاذ بيران ، كان فيها يمسك النحلة بالملقط بمجرد انطلاقها من الخلية ، ويضعها على الجزء المصاب فى الحال . وقد تردد بعض المصابين بالروماتزم ، على منحل الوزارة

الرئيسي بالجيزة بقصد شفائهم من هذا المرض بلسع النحل وكانت النتائج فى جميع الحالات مرضية .

يستحسن اختيار طائفة قوية تحتوى على ستين الف نحلة فى المتوسط حتى لا تتأثر برفع مئات النحل منها للاستعمال فى عملية الحقن ، فتستحضر انبوبة زجاجية ذات فوهة متسعة ، توضع على منضدة الطيران للخلية ، وتوجه فوهتها نحو مدخل الخلية ويستعان بقطعة قماش نظيف لتضييق مدخل الخلية ، وجعل الفتحة تماما بفوهة الزجاجة ، ويدق على جانب الخلية لاحداث صوت فيندفع النحل داخل الانبوبة لاستطلاع الامر ويتكاثر بسرعة داخلها .

وبعد الحصول على العدد الكافى من النحل تغلق فوهة الزجاجة بغطاء ، وتستعمل فى عملية الحقن مباشرة ، وذلك بوضع الزجاجة منعكسة على لوح مسطحة نظيفة أو منضدة مثلا ، ويستخرج منها النحل واحدة واحدة بسهولة بواسطة الملقط مع الاحتياط خشية موتها ، ويعالج بها الجزء المصاب .

وعادة عند وضع النحل على الجسم المصاب تنبأ بإخراج حمتها (زبانها) فاذا لم يحدث فيستعان على ذلك بالضغط قليلا على النحلة بواسطة الملقط مما يضطرها إلى اللسع .

ولما كان لسم النحل أهمية كبيرة لاستعماله كمصل لعلاج المصابين بأمراض الروماتزم بالحقن فقد أعدت مناحل كثيرة فى الخارج لتربية النحل بقصد الحصول على مصله وحفظه داخل أنابيب خاصة لهذا الغرض واستعماله فى الحقن عند الحاجة .

الاوانس

قرأ فى إحدى الجرائد السودانية التى تصدر من الخرطوم هذا الاعلان التالى

« يشرى لجمهور السودان الكرام . مخازن الشاى تتشرف باعلان زبائنها الكرام بأنه يوجد عملائها مدموزيلات للشراء والبيع »

وهذا فى السودان ! فهل أصبح لأغراء الوجه الحسن هذه القوة الاقتصادية حتى يعتقد التجار فى الخرطوم انهم يمكنهم ان يجلبوا جمهور المشترين بإيجاد بائعات دون بائعين !

وهل هذا هو السودان نفسه الذى قام بالدعوة المهدية قبل خمسين عاما ؟



الزواج

سينفذ منذ أول يناير سنة ١٩٣٩ قانون جديد فى فرنسا . وأهم ما فى هذا القانون أنه يضرب بيد من حديد جميع المتهاونين بكرامة الأسرة أو من يعملون لانحلالها حتى يخرج عن مألوف الفرنسيين فى الأخلاق السامية . وهذه الأخلاق تختلف بين أمة وأخرى . والفرنسيون على الرغم من غلوهم فى الحرية يحرصون أشد الحرص على تماسك الأسرة وارتباط أعضائها . ولذلك فان الطلاق نادر جدا فى فرنسا

وقد نص القانون على معاقبة الرجل الذى يتزوج اكثر من امرأة بالسجن عشر سنوات . وكذلك المرأة التى تتزوج اكثر من رجل . وجميع الامم الاوربية تعاقب على تعدد الأزواج أو الزوجات ولكن العقوبة الشائعة هى السجن سنتين لا أكثر . ورفع العقوبة فى فرنسا الى عشر سنوات يدل على حرص الفرنسيين على تقاليد الاسرة الفرنسية

التأليف

ذكرت الصحف أن هناك مشروعا بقانون لحفظ حقوق التـــأليف فى مصر . وفى أيام وزارة صدق باشا كان هناك من يفكرون فى مثل هذا المشروع ولكنهم كفوا عنه عندما عرفوا الحقائق

وهذه الحقائق لم تتغير منذ خمس سنوات . فانه ليس فى مصر من المؤلفين من يخشى استغلال مؤلفاته سواء بالطبع أم النقل أم الاقتباس أم الترجمة . وهو اذا خشى ذلك وجد فى القانون المدنى

كفايته من الحماية . ولو أن هذا المشروع ولد الميلاد الطبيعي لوجب أن يقترحه المؤلفون أنفسهم ولكنهم لايفعلون لأنهم قانعون بالحال الحاضرة عارفون بالحقائق . وأهم هذه الحقائق أن المؤلفات فى كساد

ثم يجب ألا ننسى أنه اذا نص فى القانون الجديد المقترح اصداره على حماية المؤلفين الاوربيين فان حركة الترجمة تقف وقوفا تاما وذلك لان هؤلاء المؤلفين سيرفضون نقل مؤلفاتهم الى اللغة العربية مالم يقدم لهم لقاء ذلك ثمن باهظ يحسبون أنه من حقهم لانهم يجهلون حال الكساد التى تعم التأليف والمؤلفات فى مصر . ومثل هذا النص يكون الضربة القاضية على الثقافة المصرية فى مصر

واذا كان بعض النهضة الاوربية يعود الى العرب فمن حق مصر أن تنقل المؤلفات الاوربية بلا أى أجر الى أن تصل الى حال متوسطة من الرواج المؤلفات



السجون المصرية

أصدر اللواء محمد حيدر باشا تقريراً عن السجون وقد جاءت فيه فقرات تستحق الدرس كما يستحق واضعها الثناء ، واليك بعضها :

« .. على ان السجون من ناحية كونها أبنية وأدوات ، قد تليق لنزول سجناء الامس وسجناء اليوم ،

« .. أما من ناحية الروح ، فهى التى يجب أن تتجدد وتتطور وتشبع فى اجوائها عامة على نمط يتفق وروح العصر ، والمستوى الذى وصلت اليه الانسانية ، وصارت عليه المدنية الفردية والاجتماعية »

وأيضا :

« ولما كان من شعار السجون بجانب التأديب ، التهذيب والاصلاح كان لا بد لها من وضع تلك الوسائل المتفق على أنها من عدة التهذيب والاصلاح فى المقام الاول من عنايتها . فيسرت للمسجونين بقصد خلق أو تنمية الفضائل وكبح الغرائز ، وتوطيد الشعور الانسانى فى نفوسهم — الحصول على ما يرغبون فيه من الكتب . والتصانيف الدينية والعلمية والادبية والتاريخية ليطالعوها

ولم يأخذوا عنها ، بل وليدرسوها اذا لزم مدة اعتقالهم

«وذهبت فى هذا الى حد تمكين المعتقلين من طلبة العلم من الاستمرار فى دراستهم فى السجون حتى لقد أدى بعضهم فى أثناء الاعتقال امتحاناتهم الجامعية العامة بنجاح

« وبهذا التشجيع من جانب المصلحة ، اقبل المسجونون المتعلمون على الاطلاع على كتب يستوردونها . وفى النية انشاء مكتبة فى كل سجن تتكون نواتها من الكتب التى ينتهى أصحابها من الاطلاع عليها ثم يتزلون عنها مختارين لمكتبات السجون خدمة منهم لمصلحة المسجونين »

فى برلين

يتبع قلم المرور فى برلين اسلوبا طريفا فى تلقين الجمهور السلوك الحسن فى الشوارع سواء أكانوا ركابا أم مشاة . فأن المخالفة التى تقع من واحد منهم يحكم عليه بالحفظة بالغرامة فيؤديها وهو فى مكانه وقت مخالفته

ولكن الغرامة ليست كل شىء . لأن هذا المخالف يجب أن يرسل الحفظة أيضا الى مدرسة خاصة تعلمه كيف يسير فى الشارع . وهو يقضى هناك نصف يوم فى هذا التعليم الشاق يروح ويجىء لكى يتقن كيفية المرور

اللغة

من أحسن الاخبار التى تبعث على السرور ان الجامعة الامريكية فى بيروت أعدت العدة لجعل التعليم فى السنين القادمة باللغة العربية بدلا من اللغة الانجليزية . وقد كانت هذه الجامعة تستعمل اللغة العربية فى الزمن الماضى ولكنها أهملتها ولم تجد من الحكومة العثمانية وقتئذ ما يحملها على تفضيل اللغة العربية

والآن تعود هى من تلقاء نفسها لتقرر التعليم باللغة العربية . وهذا وحده يدل على المكانة المعظمة

التي تكسبها لغتنا يوما بعد يوم . اذ في الوقت الذي تسمع فيه ان ايطاليا وفرنسا قررت كل منهما تعليم لغتنا باعتبارها لغة حديثة تقرر الجامعة الامريكية تعميم الدراسة بها في كل كلياتها

وتحسن جامعة اليسوعيين أيضا في بيروت اذا هي استبدلت باللغة الفرنسية اللغة العربية كلغة التعليم .

للعاطلين

في حكومة الولايات المتحدة شيء اسمه «ادارة تقدم العمل» وقد انفقت هذه الادارة منذ انشائها قبل بضع سنوات مئات الملايين من الجنيهات وغايتها استخدام العاطلين . وهي لذلك تبتكر الاعمال الجديدة أو تنهض بالاعمال الكاسدة

فهي مثلا تشق الطرق الجديدة وتفرشها بالاسفلت على مسافات تبلغ الارقام الفلكيه . فان بعض هذه الطرق لا يقل طوله عن المسافة بين الاسكندرية والخرطوم أو بينها وبين بحيرة فكتوريا في افريقيا . وهي تبني الجسور والمنازل وتشق المصارف في الارض الزراعية وتغرس الاشجار الغابات .

ولكنها أيضا تعمد الى العمل الكاسد فتقويه . وقد وصف أحد الكتاب مثلا مما تقوم به هذه الادارة في هذه الناحية . فقال ان تجليد الكتب كان قد كسد في الجنوب . فلم يكن من هذه الادارة الا أن كلفت جميع مصانع التجليد ان تجلد كتب المدارس بأنواعها المختلفة . فجمعت هذه الكتب وهي تبلغ الملايين فجلدت بالكرتون المكسو بالقماش وأعيدت الى التلاميذ . وأمكن بذلك استخدام ألوف العاطلين في هذه الصناعة . وهكذا الشأن في غيرها



أخبار اقتصادية

القطن

يعرف القراء أن الحكومة الامريكية حاولت مرات متوالية تخفيف الازمة عن الزارعين فكانت مرة تحرث القطن بعد أن تفتح لوزه . ومرة أخرى تؤدى اعانة على الثمن . ومرة ثالثة تشترى القطن

وقد اصبح المتراكم من السنين الماضية نحو مائة مليون قنطار منها نحو ستين فى يد الحكومة وأربعين فى يد الزارعين : والمعضلة الآن هى ماذا يعملون بهذا القطن ؟

فلو انه عرض للبيع واشترته مصانع العالم لكفاها سنوات ثلاث لا يمكن فيها بيع محاصيل القطن الجديدة . ولذلك يفكرون الآن فى الولايات المتحدة فى استهلاك اكبر مقدار من القطن فى صنع الذخائر الحربيه والاقمشة التى توزع بالمجان على الفقراء وفرش الشوارع به تحت الاسفلت لتثبيته حتى لا يتشقق وصنع الخيام للمدارس ونحو ذلك

ولكن هل يكفى هذا للاستهلاك ؟

السودان

كانت الازمة العالمية — الى جنب اسباب اخرى — من أعظم البواعث التى جعلت الحكومه السودانية تستخدم اكبر عدد ممكن من الشباب السودانيين وذلك لأن الحكومة رأت سنة ١٩٣٠ ان تكاليف الادارة السابقة كبيرة فاستغنت عن كثير من موظفيها من الانجليز واستخدمت السودانيين . ويبلغ السودانيون الموظفون الآن ٧٣٫٤ فى المائة من مجموع الموظفين فى السودان

وهذا حسن . ولكن مما يؤسف له أن الحكومة السودانية فى رغبتها الغالبة فى الاقتصاد اضطرت الى الغاء الانظمة المدنية السابقة مثل المحاكم . وأحالت القضايا الى العمد والمشايخ الذين يعملون بلا أجر . وكنا نعرف كيف يكون العمدة أو الشيخ عندما يفصل فى القضايا بالمجان

رخاء السودان

مما يؤسف له أن تقرير حاكم السودان نشر باللغة الانجليزية فقط . ومثل هذا التقرير يجب أن يكون قيد بنان الكاتب والمالى وكل مشتغل بالشؤون السودانية المصرية . ولذلك كان يجب أن يترجم الى العربية وأن يوزع على المصالح والشركات المتصلة بهذه الشؤون . وقد بلغت التجارة الخارجية للسودان نحو ١٥ مليون جنيه أو بالارقام المضبوطة ١٤٬٩٩٨٬٥٧٢ جنيه

وهذا العدد يزيد على ما كانت عليه هذه التجارة سنة ١٩٢٩ أى أعظم سنى الرخاء التى أعقبتها الازمة . وليس فى العالم غير القليل من الاقطار الذى يمكنه أن يفخر بان تجارته فى هذه السنوات الاخيرة زادت على ما كانت عليه سنة ١٩٢٩ . ويزيد من قدر هذا الرخاء ان تجارة السودان الخارجية كانت قد هوت سنة ١٩٣١ الى ٦ ملايين جنيه والنهوض من ستة ملايين الى خمسة عشر مليونا فى مدى ست سنوات يعد وثبة عظيمة يغبط عليها السودانيون . وهى وثبة تدل على ان السودان فى نمو متزايد عاما بعد آخر

ولذلك يجدر بنا ان نحلل الصادرات والواردات الرئيسة حتى يقف عليها جمهور التجار والصناع فى مصر ويستغلوا حاجات القطرين بما يعود عليهما بالمنفعة المتبادلة

فى سنة ١٩٣٧ كانت الواردات الى السودان تبلغ ٥٣٤٩٠٠٣ جنيه استغرقت المنسوجات منها ١١٠٥٩٣٥ جنيه ومعظم هذه المنسوجات أى ما يقارب المليون هو من الاقمشة القطنية التى يمكن مصر أن تقوم بها جميعها . ويلى ذلك فى القيمة السكر الذى يستغرق من الواردات ما تبلغ قيمته ٥٨٠٠٤٣ جنيه أى اكثر من نصف قيمة الواردات من الاقمشة القطنية . والسودان يعد فريدا فى استهلاك السكر وهذا يدل على ادمان السكان هناك للشاى والقهوة . وهو يؤدى فى ثمن الاول ٢٧٣٤٤٦ ج . وفى ثمن الثانية ٢٤٤٠٦٥ ج

واذا استثنينا الاقمشة والسكر والشاى والبن وهى جميعها تستهلك من الواردات نحو ٤٢ فى المائة من المجموع فان أهم الواردات حسب قيمتها ما يلى :—

دقيق القمح	٢١٣٦٠٧ ج
مصنوعات المعدن	٤٨٢٦٧١ ج
أتومبيلات الخ	٢٠٤٣٣٢ ج
دخان الخ	١٨٣١٦٢ ج
رز	٣٥٠٠٠ ج
توابل	٣٠٠٠٠ ج
صابون	٣٨٠٠٠ ج
أحذية	٨٦٠٠٠ ج

ويجب أن نلاحظ أن كثيرا من هذه الواردات قد استوردته الحكومة . ولكن هناك مجالا واسعا للسعى الحر اذا درس تجارنا وصناعنا ما يحتاج اليه السودانيون . فنحن نستطيع أن نقدم للسودانيين أجود الأقمشة القطنية وكذلك دقيق القمح والدخان والرز والصابون والأحذية الخ ..

أما صادرات السودان فقد بلغت سنة ١٩٣٧ مبلغ ٨١٣٠٤٥٣ ج أهمها بالطبع القطن المحلوج وقيمته ٥٣٩٢٥١١ جنيه ثم بذرة القطن وقيمتها ٥١٤١٦٤ ج ويلى ذلك :

الصمغ	٧١٧٧٩٨ جنيه
الذرة والدخن	٢٨٣٥١٠ »
السمسم	٢٨٤٥٧٣ »
الجلود	٢٤٤٢٢٥ »
الماشية	٥١٥٠٤ »
الحوم	٧٠٩٨٩ »

ويلى ذلك البلح والسمن والملح ولب الجرنة والفول السودانى والفول

ولا بد ان نلاحظ هنا ان القطن وبذرة القطن هما احتكار الحكومة ولذلك لا يمكن أن يحسب لهما حساب فى التجارة المتبادلة بين مصر والسودان . ولسنا نظن أن هذه الحال سوف تدوم . فان الحكومة السودانية خففت بعض الشىء من القيود القديمة على الامتلاك وهناك افراد يزرعون القطن الان على حسابهم ويتجرون به . والمستقبل فى السودان أعظم من الحاضر . ويجب ألا نترك الفرص القادمة تستغل حتى تصبح وقفا على غير المصريين والسودانيين

الغلاء

عندما ينخفض النقد انخفاضا تدريجيا يزيد الغلاء ولكن فى تدريج ايضـــا بحيث لا يحس به الجمهور . ففى مدى السنوات السبع الماضية ارتفع سعر الحبر من ٤٥ قرشا الى ٨٠ قرشـا . ولما كان الجنيه المصرى مرتبطا بالاسترلينى فان هذا الغلاء عندنا يسير فيما يشبه الغلاء العام فى العالم . ذلك لأن اما كثيرة — غير بريطانيا وامبراطوريتها — قد اتبعت قاعدة الجنيه الاسترلينى وسارت عليها

ويمكن من ناحية أن نقول أن بعض البضائع الأجنبية قد أصبح غالى الثمن . ولـكن ما نبيعـه نحن قد أصبح أيضـا غالى الثمن . ولو كنا نبيع القطن على قاعدة الذهب لانخفض ثمن القنطار الى ١٥٠ قرشا أو أقل

ومن البعيد جدا أن تعود قاعدة الذهب الى ما كانت عليه قبل سبع سنوات



كتب الشهر الجديدة

التربية البدنية

تأليف الاستاذ على حلمى صفحاته ٢٦٠
من القطع الكبير . موضح بالصور : مطبعة النصر . بمصر

الاستاذ على حلمى هو أركان حرب مدرسة البوليس والادارة . وهو كثير التأليف فيما يتعلق بهما فان له ستة مؤلفات تدل على درس عميق لجميع مسائل البوليس والادارة وهى خير ما يقرأه رجالهما عن عملهما وواجباتهما . وهذه المؤلفات هى :

١ — الدليل لعمد البلاد ومشايخها
٢ — ضباط البوليس
٣ — التدريب العسكرى للبوليس المشاة
٤ — سلامة الدولة فى تعاون الشعب والبوليس على حفظ الامن والنظام واحترام القانون
٥ — أنظمه البوليس الحديثة فى المانيا وما يمكن اقتباسه منها فى مصر
٦ — نظام البوليس

وقد أصدر حديثا كتابا ضخما تحت عنوان « التربية النظامية » وهو يبحث النظام ونهضة الامم والقرية المصرية والاصلاح الاجتماعى . وسلامة الدولة . والبوليس والجمهور ومقاومة الجرائم . والمرور وتفادى أخطار الطريق . وشرح النظم الاوربية . والتربية البدنية والتدريب العسكرى . ومفاخر الجيش المصرى . والروح القومية

ومن هـــذا الذى ذكرنا يتضح للقارىء مدى البحوث التى طرقها المؤلف . فانه يكتب عن

الثقافة البدنية والقوة الحربية أيام الفراعنة ومحمد على وفى العصر الحديث . ويقدم القارىء آراء فنية هى غاية فى الاستقصاء العلمى عن مكافحة الجرائم . وهو حين يطرق موضوع الاصلاحات يكتب ويشير فى توسع وعطف على الفقراء عامة والفلاحين خاصة . وهذا الى نحو مائة صورة كبيرة بعضها بالالوان لمناظر رياضية أو حربية لمصر القديمة والحديثة . وحسب القارىء لكى يعرف تشعب الموضوعات أن نقول أن المؤلف كتب خمس عشرة صفحة عن الجيش المصرى أيام الفراعنة . وعن اصلاح القرية المصرية تسع صفحات وهذه أمثلة تدل القارىء على تشعب الموضوعات التى يطرقها المؤلف وجميعها تدور حول النظام فى الامة ورجال البوليس والادارة . ونحن نقتبس من المؤلف بعض ما قال عن الفراغ وكيف يستغل فى ايطاليا :

« وضع زعيم ايطاليا فى عام ١٩٢٥ نظاما ثابتا لشغل أوقات الفراغ بين الطبقات العاملة فى الشعب الايطالى . فعمل على نشر الثقافة والرقى الاجتماعى وعلى العناية التامة بالعامل الايطالى باعتباره دعامة من دعائم الثروة الاهلية ومن مبادئه أن هذا العامل لا يكفى أن تساعده الطبقة الحاكمة ماديا وتوفر له سبل العيش . وتنمى له مرافق حياته المادية فحسب ، بل تعمل أيضا على حماية فراغه وتجديد قواه ما دام هذا العامل هو الذى يقوم على كاهله الانتاج العام ... ولهذا النظام ادارة عامة رئيسة تتبعها فروع كالاندية يبلغ عددها ثمانية وتسعين الفا ويكفى للاشتراك فى أحد هذه الاندية أن يثبت الطالب أنه ايطالى الرعوية وأنه عامل . وقد بلغ المشتركون فى السنة الاولى ٢٨٠٥٨٤ وبلغوا الآن ثلاثة ملايين وهم يعنون عناية خاصة بغرس حب الزراعة فى نفوس الفلاحين والاستقرار فى الارض والاخلاص لها وتشجيعهم على زراعة الحدائق الصغيرة وتربية الدواجن وما الى ذلك ويمكن تلخيص هذا النظام فى ثلاث نقط رئيسة هى :

١ — التعليم الفنى والثقافة الشعبية

٢ — التدريب الجسمانى

٣ — المساعدات الاجتماعية والصحية

والوصول الى هذه الغاية استعانوا بالوسائل الآتية :

١ — الاكثار من الجمعيات التمثيلية وانشاء المسارح العامة واقامة حفلات تمثيلية كل أسبوع

تقتصر على الطبقات العاملة وجعل الدخول اليها بأجر زهيد جدا لا يتجاوز القرشين

٢ — الاكثار من الآلات السينمائية المتنقلة للدعاية الصحية فى الاوساط الريفية واظهار ما فى ايطاليا من مناظر طبيعية جميلة

٣— الاكثار من توزيع أجهزة الراديوفون على المشتركين من هؤلاء العمال بثمن زهيد مع تسهيلات كبيرة فى الدفع

٤— انشاء مكتبات المطالعة العامة وتجهيز اتوموبيلات متنقلة لأعارة القرويين الكتب والمجلات والعناية بطبع الكتب المفيدة وبيعها للفلاحين بأثمان زهيدة جدا

٥— تكوين فرق موسيقية شعبية

٦— توجيه الشعب نحو مختلف الالعاب الرياضية .

٧— الاكثار من الرحلات الى الريف . هذا هو بعض مانقلناه من الكتاب مما يعد من المعلومات الجديدة عن الحركات النظامية فى أوربا مما يصح لمصر أن تقتبس منه

وكتاب « التربية النظامية » حافل بمثل هذه المعلومات التى يتمتع القارىء بدرسها والتبصر فى مزاياها التى تستحق أن تصطنع فى مصر . والمؤلف يستحق الشكر الجزيل على هذا المجهود الوطنى العظيم فى خدمة الثقافة الرياضية والنظامية والاجتماعية

سيرة رسول الجهاد

تأليف الاستاذ حبيب سعيد صفحاته ٢٩٨ من القطع الكبير اصدرته جمعية نشر المعارف المسيحية . بمصر

رسول الجهاد هذا هو بولس الذى يعزى اليه الفضل الاكبر فى نشر المسيحية . وقصة بولس من اغرب القصص . فانه نشأ عدوا للمسيحية يتعقب المؤمنين بها ويدعو الى اضطهادهم . ثم حدث له انقلاب فجائى فاصبح مسيحيا متحمسا يخدم الدين الجديد فى العلن والسر ويؤسس الكنائس فى انحاء الدولة الرومانية . والقارىء لرسائل بولس يشعر انه تشبع بروح المسيحية حتى صار يتحدث عنها كالملهم . والمظنون انه قتل فى ايام نيرون

وقد استطاع الاستاذ حبيب سعيد ان ينسج قصة رائعة من حياة هذا المجاهد بحيث يقرأها

القارىء فى لذة واستمتاع . واليك ما يقول فى المقدمة :

أما التاريخ الذى تمهد له بهذه الكلمة فهو الدعوة الاولى بالانجيل فى صدر المسيحية ، وأما الرجل فهو بولس الطرسوسى رسول الجهاد الامين

والى هذا الرسول يرجع الفضل فى المناداة بالمسيحية دينا جامعا شاملا ، فهو الذى حمل رسالتها الى العالمين اليونانى والرومانى بعد أن كانت محصورة فى تخوم فلسطين عقيب قيامة المسيح وصعوده الى السماء

ولكى يرسم الكاتب صورة حية للرسول لابد من التوفر أولا على دراسة سفر الاعمال والرسائل من أسفار الانجيل الكريم والالمام ببعض مظاهر الحياة القديمة فى القرن الاول المسيحى وأحوال الامبراطورية الرومانية فى تلك الحقبة من الزمن ، والمشاهد التاريخية التى تنقل فيها من ولاية الى أخرى فى الامبراطورية ، وموقف اليهود السياسى وأحوالهم الاجتماعية فى ذلك العصر وأخلاق الحضارتين اليونانية والرومانية ، وبعض النظم الاجتماعية التى سادت تينك الحضارتين ، والاديان التى اعتنقها القوم ، والآلهة التى عبدوها ، والملاهى التى شغفوا بها ، والقوانين التى خضعوا لها ، والطرقات التى ساروا فيها ، ومواقع المدن والاقاليم التى زارها الرسول فى رحلاته ......

* * *

وهذا ما حاولت أن أصنعه بعض الوصف فى هذه السيرة مستعينا بما كتبه الأئمة الاعلام من قبل فى اللغتين الانكليزية والفرنسية

ولم أتعرض لفلسفة الرسول الدينية اللاهوتية الا قليلا ، ولكنى أفردت فصلا خاصا لكل رسالة من رسائله فى موضعها من تاريخ حياته . ذلك لأنى اعتقد ان رسائله الخالدة تصور لنا قصة حياته الداخلية كما تصور لنا السهول والهضاب والأنهار فى آسيا واليونان وايطاليا مشاهد حياته الخارجية ففى تلك الرسائل الحية التى لن تبلى الازمان جدتها ، نشهد الكفاح الصابر المثابر ، والصبر الجميل الحازم ، والمحبة الباذلة المتفانية . فيها نشهد الغيرة المتقدة ، والكياسة اللبقة ، والحزن الباكى على خطايا الآخرين ، والجرأة العنيفة التى لاتخشى فى الحق لومة لائم . فيها نحس ذلك العطف الابوى يريقه سخيا على زملائه وأصحابه ، وذلك الحنين الدافق تفيض به نفسه نحو تلاميذه وأنصاره ......

حياة الطفل

تأليف الدكتور مصطفى الديواني . صفحاته ١٧٦ من القطع المتوسط . مطبعة فتح الله الياس نورى بمصر

مؤلف هذا الكتاب هو طبيب معروف وهو اخصائى فى امراض الاطفال ويقوم بتدريس هذا الفن فى كلية الطب . ويواجه القارىء فى الصفحة الأولى اهداء المؤلف كتابه الى زوجته فيشعر بالاحترام لهذا الزوج الراقى المتمدن . والكتاب معجزة فى ايجازه وكفايته . فانه يبتدىء بالحامل ثم يتدرج من الولادة الى تربية الطفل فيذكر الملابس والحمام والسرير والتنزه والتغذية وجوع الطفل ونموه الى التسنين والتمريض . والكتاب موضوع على طريقة السؤال والجواب بحيث يمكن الام مهما كان مستواها ان تفهمه . واليك مايقول عن طريقة اعطاء زيت السمك للطفل:

ان زيت السمك من الأدوية التى تعطى بكثرة للاطفال كتو . وكثير من الأمهات يرتكبن أخطاء فى أثناء اعطائه للطفل ما يسبب له اشمئزاز ويحول دون الاستمرار فى أخذه . وهناك نصائح أسديها للامهات فى هذا الصدد وهى :

أولا — اذا كانت الأم نفسها تكره طعم زيت السمك أو رائحته فيجب عليها أن لاتبدى علامات الاشمئزاز فى أثناء ملء الملعقة من الزجاجة ويجب أن لايسمعها الطفل وهى تتمتم مشفقة مسكين ياولدى . كم أنا آسفة لارغامك على شرب هذا الدواء الكريه » . لأنه اذا سمعها تقول ذلك أو رأى الاشمئزاز باد على وجهها استغل شفقتها وامتنع عن أخذ الدواء .

ثانيا — يجب أن لايعطى الطفل رشوة مقابل أخذه الدواء ، لأن ذلك يجعله يشعر بسلطته على والديه فيتعود على ذلك فى كل مرة يقدم له فيها زيت السمك .

ثالثا — يجب أن لا نضغط الطفل أو نرغمه على أخذ زيت السمك ، لان الطبيعة البشرية تأنف من قبول ما يملى عليها

رابعا — يبدأ باعطاء زيت السمك فى سن مبكرة لانه كلما كان الطفل صغيرا كان من السهل تعويده قبول الدواء . والواقع أن الطفل أحوج ما يكون الى زيت السمك فى الستة الاشهر الاولى من عمره .

خامساً — يعطى زيت السمك فى مواعيد منتظمة يومياً ، وبذلك يتعوده الطفل ويعتقد أنه جزء من برنامجه اليومى .

سادساً — اذا لم يقبل الطفل زيت السمك كما هو يمكن اعطاؤه له فى اللبن أو عصير البرتقال أو العنب أو الطماطم .

سابعاً — اذا احتاج الأمر فى البداية لتشجيع الطفل فيمكن للام أن تشرب قليلا من الدواء أمامه لتريه أنه دواء مقبول .

ثامناً — يمكن للاطفال الكبار عدم التنفس فى أثناء أخذ الدواء حتى لايشعروا برائحته وطعمه .

تاسعاً — يمكن ازالة بقع زيت السمك من الملابس والاقمشة بغسلها جيداً بالماء والصابون واذا لم يكفغسلها فى ماء الاوكسيجين بضعة ساعات .

ومعظم هذه النصائح تنطبق بطبيعة الحال على أى دواء آخر خلاف زيت السمك يكون غير مقبول الطعم أو الرائحة .

مقــتــبــس

تأليف الاستاذ جبرائيل مسوح : صفحاته ٩٦ من الكبير - طبع فى توكومان

هذا الكتاب لايمكن أن يؤلف فى مصر او فى الشرق العربى كافة . فانه ثمرة البيئة الحرة التى يعيش فيها المؤلف فى امريكا الجنوبية . والمؤلف يحمل كثيراً على الدين كأنه هو العلة لتأخر الامم ولكنه يهمل العوامل الاقتصادية التى هى السبب الحقيقى لهذا التأخر . وهو احياناً ينطق بالحكم السامية . ولكنها تضيع فى وسط الزوبعة التى يقيمها حول الاديان

تصحيح خطأ

وقع خطأ مطبعى فى المجلة الجديدة الشهرية (عدد يناير) وذلك بوضع صفحة ١٠٣ بدلا من ١٠٧ وبالعكس فننوه بذلك مع الاعتذار

حديث الأدب والأدباء

برتراند رسل

من مقال للاستاذ زكى نجيب محمود فى مجلة الثقافة

برتراند رسل فيلسوف انجليزى معاصر ، بل هو زعيم الفلاسفة الانجليز المعاصرين ، أنفق الشطر الاول من حياته العلمية فى دراسة الرياضة والمنطق ، فأكسباه وضوحا فى التفكير لا يكاد يدنو منه فى ذلك أحد من معاصريه . . . ولم تكد تضع الحرب الكبرى أوزارها حتى خرج برتراند رسل من صمته الدوى تحت أكداس المنطق والرياضة ، وانطلق فى العالم كالشعلة المتدلعة يخطف الابصار ويأخذ الألباب ، لمارأى ما شهده العالم من صراع وقتال ، وقد راعه أن يرى الوف الشباب يسيرون فى خيلاء وزهو ليلاقوا حتفهم فى حومة الوغى ! فبدأ يفكر فى وسيلة الخلاص ، فكانت هذه الكتب التى أخرجها للناس ، وهذه الفصول التى يذيعها فيهم حيناً بعد حين .

وأول ما يستوقفنى من رسل أسلوبه فى التفكير ، لأنه أسلوب أومن به وأحتذيه ، فهو يأبى أن يكون فى تفكيره فردا فى قطيع ، ويقف عند المسائل وقفات تقصر أو تطول ، حتى يتبين فيها الرشد من الغى ، وليس أبغض على نفسه من رأى يأخذ به الناس فى تسليم لا يقبل الشك ، بل ليس أبغض على نفسه من هذه الافكار التى يطلق عليها الناس اسم « البديهيات » ثم يقبلون عليها اقبالا لا روية فيه ، ولكم هال وكم حين سمع برجال نهضوا يتحدون قدامة تلك البداءة ، وألحوا يطلبون لكل بديهية ما يؤيدها من دليل ؛ وكم هال وكبر حين سمع بمن أثبت أن الخطين المتوازيين قد يلتقيان وأن الكل قد لا يكون أكبر من جزئه . ذلك أن رسل يحب لنا أن نفكر أحرارا من كل أغلال وأصفاد ، ويحب لنا أن نشك حتى يتبين اليقين .

وهل فى العالم كله حقيقة واحدة تستعصى على الشك ؟ ستقول : نعم ، وهل أشك أو يجوز أن أشك فى أن هذا مكتب أمامى ، صنع من الخشب ، وطلى باللون الاصفر ، وانتثرت فوقه الكتب والاوراق ؟ ستقول هذا ، وسيجيبك رسل بأن الشك فى هذا جائز بل واجب ، ولو أمعنت فى الفكر لألفيت هذه الأمور الساذجة العابرة تحتمل كثيرا من التفكير . .

انظر معى إلى مكتبك مرة أخرى ، ما لونه ؟ لا تقل فى بساطة الاطفال إنه أصفر لأن ألوف الالوان تتعاقب عليه طول النهار والليل ، كلما اختلف مقدار الضوء الساقط . ولو رسمه فنان عشرين صورة فى يوم واحد فى أوقات مختلفة لخرجت كل صورة على شىء من الخلاف مع سائر الصور . . وما شكله ؟ ستقول . مستطيل السطح مثلا ، مع أنك لم تره مرة واحدة فى حياتك مستطيلا ، وإن خالجك الشك ، فاجلس وحاول أن ترسم ما تراه على الورق ، إذن لوجدت السطح يضيق هنا وينفرج هناك ، بل لو جلس حوله عشرون رساما لما وجدت رسمين اثنين ينطبقان ، فليس فى لمكتبك شكل واحد بل أشكال متعددة وإن شبه لك أنه مستطيل ، ثم ما ملمسه ؟ ستسرع إلى جواب بأنه ناعم مصقول ، ولكن تريث قليلا وانظر إليه بمجهر وحدثنى كيف تراه ، ستراه وديانا وجبالا وهضابا تحت زجاجة المجهر ، وكلما اختلف المنظار شدة وضعفا اختلف معه سطح المكتب نعومة وخشونة فأى هذه الصور جدير أن يكون صوابا ؟ وأيها محكوم عليه بالبطلان ؟

وحسبى هذا ، فلن أطيل الوقوف عند مكتبك ، ولعلى قد وفقت إلى شىء أرجو مخلصاً أن ترسخ جذوره فى العقول ، وهو ألا يلقى الانسان أحكامه جزافا ، وألا يسرع إلى تصويب رأيه وتخطئة غيره إلا بالدليل والبرهان ، فها قد رأينا أتفه الاشياء تحتمل اختلاف الرأى . . فالأصول الأولى التى ننشرها عن رسل ، وننشرها عن إيمان وعقيدة ، هى أنه إذا كان فى الموضوع رأيان ، فحكم العقل ، ولا تقض فى الامر بهواك ، وإنه من الغفلة أن يقضى الرجل العادى فى امر اختلف فيه علماء والخبراء ، فينبغى أن يكون لنا الضمير العلمى فى شئون الحياة جميعا ، ولو نجحنا فى ذلك وحده كان كفيلا للبشرية بالنهوض السريع . خذ لذلك أمثلة سريعة مقتضبة : يقول بعض علماء الاقتصاد إن الاشتراكية سبيل النجاة بالانسانية مما يرهقها من الكوارث الفاجعة ، فينهض قوم يعارضون ويزعمون أنها نزعة لا تتفق وطبيعة الانسان ، ولو اصطنع هؤلاء ضميراً علمياً ، لما ضاقوا صدراً بالرأى

الجديد ، ولافسحوا له فى مجال التجربة ، لعله يعود على البشر بخير موفور .. تسمع عن أهل التبت أن المرأة يحل لها أن تتزوج أكثر من رجل ، ويسمع المسيحيون عن المسلمين أنهم يجيزون للرجل أن يتزوج أكثر من أمراة ، فيقابل كل فريق ما يسمعه عن الفريق الآخر بشىء من النقد ، ولو اتخذ أسلوب التفكير الصحيح لتريث فى حكمه ، ولعله يسخر من صوابه

نريد شيئا من الشك ، أو بعبارة أخرى نريد للعقل أن يسيطر ، وللعاطفة أن تنكمش حين نصدر الاحكام ، لانها مضللة مفسدة للرأى فى أكثر الاحيان ، ومع ذلك فالناس يصدرون كثيرا عن عواطفهم حين يفكرون : . فلو قام فرد بين الناس يزعم أنه ملك انجلترا ، لحكم عليه الانجليز بالخبل أو الجنون ، وأودعوه السجن أو البيمارستان ليسلم الناس من شره وأذاه ، أما إن نهض هذا الفرد بعينه وزعم للناس أن الامة الانجليزية تنزل بين الامم منزلة الملك بين الناس ، لرفعوه وأكبروه ، مع أن الموقفين فى عين الاجنبي المحايد متساويان : فى الاول يعلو بنفسه باطلا ، وفى الثانى يسمو بأمته باطلا . ولكن الموقف الاول صادف فى الناس نفورا لانه يصدم رغباتهم ، وصادف الثانى اعجاباً وقبولا لأنه يتفق وهواهم ، والواقع — كما أشرت — أن لافرق بين الحالتين ، سوى أن هذا جنون جماعة ، وذاك جنون فرد واحد ، وسيدل على ذلك التخبط والتعصب إن ناقشت الجماعة فى موضوع جنونها ، كما تعرض نفسك للخطر إن ناقشت الفرد المخبول فى موضوع جنونه . . فانظر كم يصدر الناس فى حكمهم عن الهوى ! نعم هم يصدرون عن عواطفهم حين يفكرون ، ثم يقيمون الدليل العقلى بعد ذلك ، وهم يلوون هذا الدليل العقلى حيث شاءوا ، حتى يجىء مطابقاً لما أرادوا ، ونحن نطالبهم أن يعكسوا الوضع ، فيبدءوا بالمنطق العقلى لينتهى بهم إلى حيث يريد الله أن ينتهى .

من هو الشيخ أبو نظارة

من مقال لابن الترجمى فى زهرة الشرق

ابو نظارة هذا . هو يعقوب بن رافائيل صنوع ولد فى القاهرة سنة ١٨٣٩ من ابوين اسرائيلين . واتقن فى حداثة سنه تعاليم التوراة فأصبح مؤمنا بعقيدة وجود الله سبحانه وتعالى . ثم عكف على دراسة الانجيل والقرآن وتعمق فى عقائد الاديان القائلة بوحدانية اللاهوت وكان والده

وكيلا للمغفور له أحمد باشا يكن رأس العائلة اليكنيه فى عهد ساكن الجنان المغفور له الحاج محمد على باشا والى مصر . ولما شاهد المغفور له أحمد باشا يكن نباهة يعقوب أرسله لأوربا على نفقته لتعليمه اللغات الاجنبيه والعلوم العصرية . فسافر الفتى يعقوب الى مدينة ليفورنو من مدن ايطاليا حيث تعلم العلوم وبرع فى اللغات الاجنبيه . ثم عاد لمصر بعد ثلاث سنين وكان قد بلغ من العمر السادسة عشر وفى اثناء ذلك توفى والده فحزن عليه حزنا عظيما وبكاه بكاء كثيرا وبعد برهة من الزمن أخذ يدرس اللغات الاجنبيه لابناء الاعيان وبعض انجال الامراء حتى نبغ على يديه من ارتقوا الى أعلى الوظائف والمراتب

وفى سنة ١٨٧٠ انشأ اول مسرح عربى فى القاهرة بمساعدة ساكن الجنان باعث نهضتها المغفور له الخديو اسماعيل الذى منحه لقب «موليير» مصر ونشطه وأمده بالمال على عمله وكثيرا ما شهد تمثيل رواياته . وبلغ مجموع ما ألفه من الروايات اثنتين وثلاثين رواية غراميسة وهزلية منها ما هو بفصل واحد ومنها ما هو بخمسة فصول ثم أسس سنة ١٨٧٢ جمعيتين علميتين أحداهما «محفل التقدم» والاخرى «محبي العلم» وتولى رياستهما . وفى سنة ١٨٧٤ سافر الى اوربا حيث مكث بها مدة يدرس احوالها السياسية واخلاق شعوبها . ثم رجع لمصر مشغوفا بشوق الافرنج وملتهبا بالغيرة لبث روح الحضارة والعمران بين الشعب المصرى

وكان المغفور له السيد جمال الدين الافغانى الفيلسوف الشرقى العظيم والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمهما الله . متحدين معه بعرى المحبة وقد درسا عليه شيئا من اللغة الفرنسية . فاتفق ثلاثتهم على اصدار جريدة عربية هزلية لانتقاد أعمال الحكومة ثم قر رأيهم على أن يتولى ادارتها صاحب الترجمة ويشتركا فى تحريرها معه . وقد اوعز فيلسوف الشرق العظيم السيد جمال الدين الى صاحب الترجمة فى ايجاد اسم هذه الجريدة يليق بمشربها . فخرج هذا الى منزله باحثا عن حمار يركبه فاذا بالمكارين أصحاب الحمير قد تجمعوا حوله وأراد كل منهم أن يركبه حماره فلما زاحموه أحب التخلص منهم واذا بصوت من ورائه يناديه « ياأبا نظارة زرقاء » وكان وقتئذ يستعمل النظارات الزرقاء لوقاية عينيه من أشعة الشمس فرن هذا الصوت فى أذنيه واستحسن عبارة « ابى النظارة الزرقاء » وصمم على اتخاذها اسما للجريدة الهزلية . فرجع من ساعته الى السيد جمال الدين وأخبره بما حصل له مع المكارين أصحاب الحمير واختياره الاسم المذكور اسما للجريدة . فضحك من كلامه واستحسن

الاسم وهكذا أصدر العدد الاول فى سنة ١٨٧٧ من هذه الجريدة التى تعد أوائل الجرائد الهزلية بمصر وبين الناطقين بالضاد فانتشرت فى البلاد العربيه حتى صار اسمها ملازما لصاحبها الذى أطلق عليه من ذاك الحين « الشيخ أبو نظارة » وكان أول من استعمل اللغة الدارجة عند عامة المصريين فى الكتابة فتبعه الكثيرون من الكتاب الذين أصدروا جرائد شتى بالقلم العامى فى جميع الاقطار العربية شرقا وغربا

ولما كانت معظم مقالات هذه الجريدة تنتقد أعمال الحكومة فى ذلك الوقت وكان قد صدر من هذه الجريدة خمسة عشر عددا وعطلتها الحكومة وتقرر نفيه خارج القطر

فسافر الى فرنسا وهناك فى باريس استأنف اصدار جريدته «رحلة أبى نظارة زرقاء» منتقدا فيها أعمال الحكومة الامر الذى ترتب عليه تحريم دخولها القطر المصرى فما كان من صاحبها الا أن اضطر الى تبديل اسمها تارة باسم «أبى زمارة» وطورا باسم «أبى صفارة» وحينا باسم «الحاوى» وآنا باسم «الوطنى المصرى» أو «النظارات المصرية» لئلا يفوت القراء فائدتها . ثم اصدر مجلة «التودد» وجريدة «المنصف» وجريدة «العالم الاسلامى» وغيرها

وفى سنة ١٨٨٦ أصدر جريدة بثمانى لغات سماها «الترثارة المصرية» أو «الباقار اجيسيان» ولعلها أول جريدة صدرت بثمانى لغات على ما نعلم .

ولم تقتصر همته على تحرير جرائده هذه بل كان يرسل من حين لآخر بمقالات ضافية الذيول ينشرها فى الجرائد الفرنسية الكبرى مثل الطان والماتين والفيغارو وغيرها من امهات الجرائد الفرنسية

• • •

وفى سنة ١٩٠٠ اقامت الحكومة الفرنسية معرضا لصحافة عاصمتها فوفد عليه كثير من عظماء الامم شرقا وغربا .

وكان من ضمن زوار هذا المعرض السيد حسن بن السلطان عمر المنزوانى على رأس وفد من بلاده . فانتهز صاحب الترجمة هذه الفرصة وخطب خطبة بعشر لغات مختلفة رددت صداها جرائد فرنسا وما كاد ينتهى من خطبته هذه حتى حمله جمهور السامعين يتقدمه جوق الموسيقى إلى ساحة

« برج ايفل » حيث دعا دعاءا حارا ختمه بالنشيد الفرنساوى والمصرى وكان فى ذلك الوقت شاه العجم يقيم فى « كنتر كسفيل ليبين » فاستدعاه فى ضيافته وأهداه وساما عاليا وخاتما ثمينا .

ولما زار سمو الخديو السابق باريس سنة ١٩٠٠ ونزل فى مدينة ديفون تشرف صاحب الترجمة بمقابلة سموه فعطف عليه وأذن له بالرجوع لمصر فاعتذر لسموه وفضل الاقامة بفرنسا وفى سنة ١٩٠٢ وافقت مرور خمس وعشرين عاما على ظهور جريدته الاولى فاحتفل أصدقاؤه من سوريين وتونسيين وجزائريين ومصريين وفرنسيين به احتفالا فخما فى احدى الفنادق وأقاموا له مأدبة أنيقة جمعت مائة شخص وتبارى فيها الخطباء بمدحه والاشادة بفضله .

وفى سنة ١٩٠٥ جرى له الاحتفال باليوبيل الحسينى لدخوله فى سلك التأليف والتدريس فكان هو أول صحافى عربى نال هذه المكرمة الشريفة فى حياته . وبمناسبة هذا اليوبيل اجمعت الجرائد العربية والافرنجية على الاشادة بمدحه وتواردت عليه رسائل المدح والاطراء من الامراء والعظماء والكتاب والشعراء من الشرق والغرب وحاز من رؤساء الحكومات وسامات الشرف الكثيرة التى زينت صدره . وذلك مصداقا لسمو منزلته الأدبية والعلمية عندهم . ولا عجب فى ذلك فقد كان له دراسات عامة بلغات شتى قديمة وحديثة بحيث أنه كان يكتب نثرا وشعرا بالعبرانية والعربية والايطالية والفرنسية والانجليزية والالمانية مع إلمام بالاسبانية واليونانية علاوة على اتقانه الفنون الجميلة كالموسيقى والرسم وألف الحانا بديعة أهداها للملوك والامراء . وكان يرسم بنفسه الصور التى تنشر بجرائده . وكان مرتبطا بعلائق مودة وصداقة مع اكبر عظماء مصر وسوريا وتونس والمغرب الاقصى والهند . هذا فضلا عما أحرزه لدى الكتاب الفرنسيين . وله مع اكثر سلاطين الاسلام مكاتبات تضمنت آيات الثناء والمدح . ونال القابا عظيمة منهم . نذكر منها لقب « موليير مصر » من المغفور له ساكن الجنان الخديو اسماعيل على أثر حضوره تمثيل بعض رواياته ولقب « صديق الاسلام » عند تشرفه بمقابلة سلطان تركيا سنة ١٨٩١ ونال لقب « صديق فرنسا الكبير » سنة ١٩٠٠ على أثر افتتاح معرض فرنسا العام وأحرز لقب « شاعر الملك » من شاه ايران ولقب « كوكب الشرق » من سلطان القيروان ولقب الوطنى المخلص من سمو الخديوى السابق ولقب « مقوى الرابطة الاخوية العامة » من دوق بدرو امبراطور البرازيل

وفى سنة ١٩٠٨ لما أعلن الدستور العثمانى ومنحت تركيا الحرية سافر الى الاستانة للاشتراك مع العثمانيين فى أفراحهم الوطنية ومكث بها فترة من الزمن كان فيها موضع الاكرام والاجلال من العظماء والكتاب الاحرار ثم عاد لباريس ومن ذلك الوقت أخذ نور عينيه يضعف حتى كف بصره — وفى سنة ١٩١٠ أصدر العدد الاخير من جريدته « أبى نظاره» بعد انتشارها أربعا وثلاثين عاما مدافعا عن حقوق وادى النيل . وفى سنة ١٩١٢ توفاه الله فى باريس ونعته شركة تلغرافات روتر الى الشرق والغرب



كابيك

توفى الكاتب السلوفاكى كارليل كابيك وهو معروف باللفظة التى سكها والتى اصطنعتها جميع الامم وهى «روبوت» بمعنى الرجل الآلى

وقد مات ولما يبلغ الاربعين مع أنه حاز من الشهرة مالا يصيبه ذوو السبعين من الادباء. وربما كان شيوع هذه اللفظة هو السبب لشهرته .على أن قيمته كانت كبيرة فى توجيه الاذهان الى الاثار السيئة التى يثمرها فى الاجتماع الحاضر هذا العصر الالى أى عموم الالات لجميع الوان النشاط الانسانى. وقد ترجمت مؤلفاته الى معظم اللغات الحية وكان قد هجر وطنه وقتا طويلا فى التنقل بين عاصمة وأخرى فى أوربا حتى انتهى به التجوال الى لندن التى اتخذها دار سكنى له

